

تفسير وتوضيح

بقلم

الدكتور الشريف حمدان راجح الهجادي

المدينة المنورة



بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــــداء

إلى كل مسلم ومسلمة ، إلى دعاة
الإسلام في كل زمان وأي مكان
أهدي هذه الرسالة وأقول
لدعاة الإسلام: العقيدة أولاً
معشر الدعاة . .

المؤلف
الشريف حمدان راجح
المدينة المنورة


لا إله إلا الله محمد رسول الله

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



جدة: ميدان الجامعة ـ ص.ب: ٤٠٨٤٥ جدة ٢١٥١١ ت الإدارة ٦٨٩١٤١٧
المكتبة ٦٨٩٤٤٦١
الخبر: شارع الأمير نايف ـ ص.ب: ٢٣٢١ الخبر ٣١٩٥٢ ت ٨٩٤١١٣٦

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . . أما بعد . .

فقد أطلعتُ إلى البحثِ المختصر المفيد في شرح كلمة الإخلاص شهادةِ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله ، الكلمة التي مكث المصطفى في مكة ثلاثةَ عشَر عاماً يدعو الناس إليها ، ومن قالها خالصاً من قلبه في تلك الفترةِ دخل الجنة - إذ لم يفرضِ الله على المسلمين من الفرائض شيئاً - اللهم إلا الصلاة قبل الهجرة بستةَ عشَر شهراً .

وقـد حدث في أول غزوة فرق الله فيهـا بين الحق والباطل - وهي غزوةُ بدر - أن قَتَل القريبُ من المسلمين قريبَه من المشركين في النسب في تلك المعركة - لأنَّ كلمة الشهـادة هذه ليست مجرد لفظ يقـال وإنما لها معانٍ دلت

عليها فهمها أولئك المشركون فمن وفقه الله للخير والدخول في الإسلام قالها والتزم بما دلت عليه عملاً وتركاً. ومن لم يوفق امتنع عنها - لأنه يرى من نفسه عدم الالتزام بما دلت عليه وأنَّ الدكتور الشريف حمدان قد أوضَح في هذه الرسالة المختصرة معاني هذه الكلمة وماينبغي لقائلها أنْ يلتزم به نقلاً وتركاً - حتى يُؤَدىٰ بالفعل واجبَها - وبالترك تَجُنُّبَ نواقضها وذلك بأسلوب سهل يدركه القراء على اختلاف مستوياتهم، كما بين الشطر الثاني من الشهادة وهو الشهادة لرسول الله ﷺ بالرسالة، فأوضَحَ مايتعلقُ بها من المتابعة لرسول الله ﷺ ومايجب لرسول الله ﷺ - من محبته وتقديمه في ذلك على النفس والوالد والولد - كما بين معنى المحبة.

وأحسِب أن هذا المختصر مفيدٌ في هذا الركنِ الأساسي من أركان الاسلام - وإنْ كان شرحه وتوضيحه يحتاج إلى أوسعَ من ذلك. نسأله تعالى أن ينفع بهذه الرسالة قارئها وأن يجزي كاتبها خير الجزاء والحمد لله رب العالمين..

الدكتور علي بن محمد ناصر فقيهي

أستاذ العقيدة بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة
وأمين عام الجامعة

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولاعدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لاإله إلا الله إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأرضين، ومالك يوم الدين الذي لافوز إلا في طاعته، ولا عز إلا في التذلل لعظمته، ولاغنى إلا في الافتقار إلى رحمته.

أحمده سبحانه وتعالى على نعمة الإسلام، وأشهد أن لاإله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، فقد شَهِدتْ له بالربوبية جميعُ مخلوقاته وأقرتْ له بالألوهيةِ جميعُ مصنوعاته، تقدست أسماؤه وعَظُمَت صفاته وأشهد أَنَّ محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخِيرتُه مِنْ خلقه، المبعوث رحمة للعالمين بالدين القويم، والمنهج المستقيم، أرسله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. . وبعد. .

إنَّ كلمـة التـوحيد العظيمة هي الركن الأول من أركان الاسـلام الخمس والتي يأتي بعـدها الصلاة والصيام والزكاة والحـج، أَوْلاهـا الإسلام أهميـة كبرى، أرسل الله سبحانه وتعالى بها رسله، وأنزل كتبه، هذه الكلمة المباركة «لاإله إلا الله محمد رسول الله» يجب على المسلمين العناية بها، تمسكاً وتعليماً ودعوة وتبليغاً وحماية ودفاعاً وفي هذا البحث إنْ شاء الله وبتـوفيقـه وعونه نريد «تفسير وإيضاح» هذه الكلمة الجليلة «لاإله إلا الله محمد رسول الله».

لقد اهتم الكتاب العزيز بها اهتماماً عظيماً، ليس فيما نزل فيه في الفـترة المكية فحسب بل حتى فيما نزل منـه في الفترة المـدنية، الأمـر الـذي دل على أهمية هذه الكلمـة ومكانتها الكبيرة، إنها قضية التوحيد قضية إفراد الله بالعبادة، العبادة التي خَلَقَنا من أجلها سبحانه، قال تعالى: ﴿ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾.

فاهتمام القرآن الكريم بقضية التوحيد في العهدين المكي والمدني يدل دلالة واضحة على أهمية هذه القضية، صحيح أَنَّ الآياتِ المكيةَ كانت تخاطب المشركين وتوضح لهم أهمية هذه الكلمـة، وذلـك لتصحيح اعتقادهم وماهمَ عليه من باطل

وتصـورات فاسـدة وتعلق بحجارة وكواكب وأفلاك هي من خلق الخالق تبارك وتعالى وصنعه إلا أنَّ استمرار الحديث في موضوع التوحيد فيما نزل من آيات مدنية يؤكد على أهمية قضية التـوحيد يجب على الناس تفهمها وإدراكها بشكل واضح ، وذلـك لتتحقق العبودية الخالصة لله رب العالمين وحتي يقوم الناس بما خُلِقوا من أجله على الوجه الذي يرضاه الخالق تبارك وتعالى، وهو إخلاص العبادة له وحده جل وعلا .

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ يأأيها الذين أَمَنـوا آمِنـوا بالله ورسـوله ﴾ إنَّ الاعتقاد الصحيح الخالص مطلوبٌ من كل مسلم ، ومعرفة (لا إله إلا الله ومحمد رسول الله) هي الطريق الوحيد الموصل إلى الاعتقاد الصحيح .

إن قضية التوحيد تقوم على العلم ، العلم الذي جاء في كتابنا العزيز وسنةِ نبينا محمد ﷺ ، فلا عمل بلا علم ، إذْ إنَّ العمل المقبول هو الذي عليه هَدْيُ المصطفى ﷺ ، من هنا نجـد أن عنـاية الإسـلام بقضية التـوحيد عظيمـة ، فعـلى المسلمين أن يكونوا كذلك ، وذلك ليكون مفهوم هذه الكلمة واضح جلي لأفراد هذه الأمة في كل مكان وأيّ زمان .

لهذا رأيت تخصيص هذه الـرسـالـة أو البحث في تفسير وتوضيح هذا الركن العظيم من أركان الإسلام الخمس التي

قال عنهـا الصـادق الأمـين ﷺ (بنى الإسلامُ على خمس ، شهـادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمـداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وحج البيت وصوم رمضان)[١] .

إن العنـاية بكلمـة التوحيد أمْرٌ هام وجليل ، وذلك لأن المداخل الشيطانية التي تورد الإنسان موارد الهلاك أكثرُ ماتأتي من باب الاعتقاد .

وكلمـة التـوحيد (الـركن الأول) هي أسـاس العقيدة الإسلامية ، لذا يجب علينا جميعاً معشرَ أمةِ محمد ﷺ العنايةُ بها توضيحاً وتعليقاً وتبليغاً وحمايةً لأن صلاحَها صلاحُ للعمل وفسادَها فسادٌ له ، ولا يكون الإنسان مؤمناً . إلا إذا حقق هذه الكلمة كما عَلَّمنا ربُّنا سبحانَه وتعالى في كتابه العزيز وبيَّن لنا رسولُنا الكريم محمدَ بن عبد الله ﷺ في سنته المطهرة .

وحـديثنا عنها يسهل على القارىء معرفة مايتعلق بها من حيث المعنى والتفسـيرُ والأركـانُ والشروطُ والأثرَ ، والتوحيدُ وأقسامه ، ونواقضها .

وما لإمام المتقين ﷺ من حقوقٍ أوجبها الحقُ تبارك وتعالى علينا متمثلةً في طاعته ومحبته ، مع بيان عظيم قدره ﷺ ونتائج

---

(١) صحيح مسلم : ٤٥/١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

مخالفته ، لذا قسم البحث إلى قسمين ، القسم الأول خصص للحديث عن « لا إله إلا الله » وفيه سبعة مباحث هي :

المبحث الأول : معنى لا إله إلا الله ومفهومها .

المبحث الثاني : تفسير لا إله إلا الله .

المبحث الثالث : تحقيق لا إله إلا الله .

المبحث الرابع : أركان وشروط لا إله إلا الله .

المبحث الخامس : آثار لا إله إلا الله على المسلم .

المبحث السادس : أقسام التوحيد .

المبحث السابع : نواقض لا إله إلا الله .

أما القسم الثاني فكان عن شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ وفيه سبعة مباحث هي :

المبحث الأول : معنى شهادة أنَّ محمداً رسول الله .

المبحث الثاني : عظيم قدره ﷺ .

المبحث الثالث : خصائص الرسالة المحمدية .

المبحث الرابع : واجبنا نحوه ﷺ .

المبحث الخامس : طاعته ﷺ .

المبحث السادس : نتائج مخالفته ﷺ .

المبحث السابع : كلمة لابدَّ منها .
الخاتمة .

والله أسألُ أن يجعلَ هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم نافعاً للمسلمين في كل مكان وزمان ، جعلنا الله هداة مهتدين ونفعنا بما نسمع ونقول وآخر دعوانا أَنِ الحمدُ لله رب العالمين . .

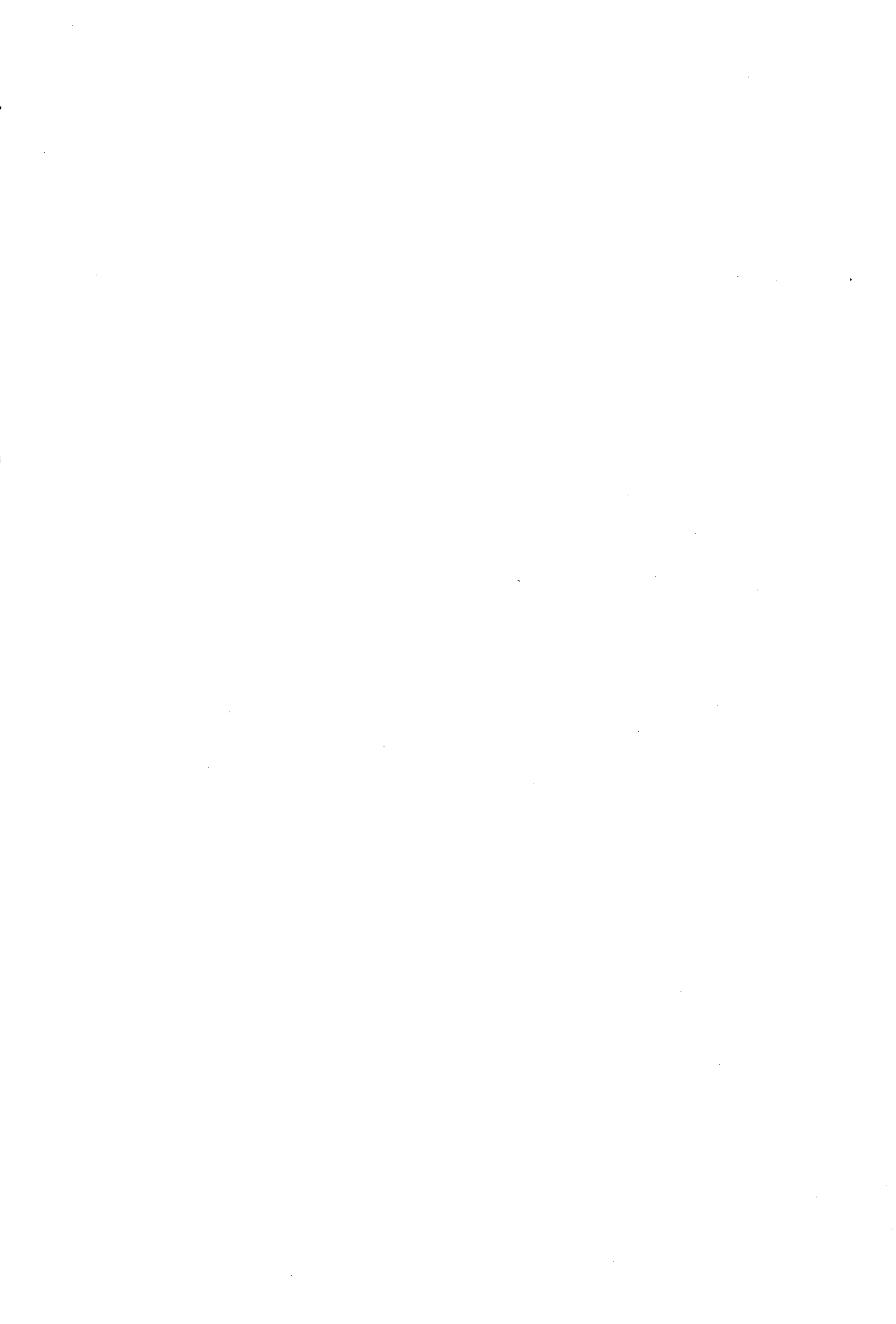
وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الدكتور / الشريف حمدان راجح

المدينة المنورة
ربيع الأول ١٤١٠ هـ

القسم الأول

لا إله إلا الله



المبحث الأول

معنى لا إله إلا الله ومفهومها

إن كلمة التوحيد العظيمة ﴿ لا إله إلا الله ﴾ تشتمل على معانٍ عظيمة وجليلة ولن يستطيع العبدُ أَنْ يعمل بمقتضى تلك الكلمة إلا بعد أَنْ يفهم تلك المعاني ، ويحيطَ بها وذلك ليعملَ بها على علم وبصيرة .

وقد ورد ذكر هذه الكلمة في كتاب الله العزيز أكثر من ثلاثين مرة ، في سورة البقرة وسورة آل عمران والنساء والأنعام والتوبة ويونس وهود والرعد وإبراهيم والنحل وطه والأنبياء والمؤمنون والنمل . . . . الخ ، قال تعالى : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾[1] وقال سبحانه : ﴿ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾[2] . وقال جل مِن قائل : ﴿ فاعلمْ أَنَّه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ﴾[3] .

---

(١) البقرة الآية /٢٥٥ .

(٢) طه الآية /٨ .

(٣) محمد الآية /١٩ .

وكلمـة ﴿ الإلـه ﴾ في اللغـة هي المعبـود ، مشتقـة من ﴿ ألِـه ﴾ يَأْله إلاهةً ، بمعنى عبد ، يعبد ، عبادة ، والإله بوزن « فِعال » بمعنى « مفعول » أي معبود[1] .

والإلـه في الشرع : هو المـألـوه المعبـود المستحق لإفراده بالعبادة ، لما اتصف به من أوصاف الربوبية المقتضية لأوصافِ الألوهية ، وهي صفات الكمال المطلق التي لايمكن أَنْ يرقى إليها أَحَدٌ إلا هو جل جلاله ، لأنها تليق بجلاله وعظمته ، خالق كل شيء فلا إله غيره ولا ربَّ سواه ، تعالى ربنا العظيم عما يقولون علواً كبيراً ، لذا لايستحق أَنْ يكون معبوداً إلا هو سبحانه وتعالى .

وأمـا لفظ الجـلالـه ﴿ الله ﴾ فهو علم على ذاته المقدسة سبحانه وكما هو معلوم ، هوأعرفَ المعارفِ على الإطلاق .

فهو الإله الحقُّ المستحق للعبادة والذي لايجوز بحال من الأحـوال أن يُصْرَفَ أيُّ نوع من أنـواع العبـادة إلا له جل جلاله ، وهاهي الآية الكريمة من سورة الأنبياء توضح هذا

---

(١) مختار الصحاح للرازي ص ٢٥ ، المركز العربي .

المعنى على أكمل وأجمل وجه ، قال تعالى : ﴿ وماأرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾[1] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ذلكم الله ربكم لاإله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل ﴾[2] .

لقد أخذ الحق تبارك وتعالى الميثاق من بني آدم ، كما قال تعالى : ﴿ واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بربكم قالوا بلى شهدنا أنْ تقولوا يوم القيامة إنَّا كنا عن هذا غافلين ﴾[3] .

إنَّها فطرةُ الله التي فَطَر الناس عليها ، وهل يستحقُ غيرُه سبحانه وتعالى أن يُصْرَفَ له أيُّ نوعٍ من أنواع العبادة ؟ وهل ذلك يوافق الفطرة السليمة لبني البشر ؟ أعتقد أن الاجابة معروفة تماماً . .

وصدق ربنا العلي العظيم اذ يقول : ﴿ فأَقْمِ وجهك للدين حنيفاً فطرةَ الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القِّيُم ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾[4] .

---

(١) الأنبياء الأية /٢٥ .
(٢) الأنعام الآية /١٠٢ .
(٣) الأنعام الآية /١٠٢ .
(٤) الروم الآية /٣٠ .

والآيات القرآنية الكريمة التي تقرر (نَفْيَ) الأَنداد والشركاء في الربوبية كثيرة . قال تعالى : ﴿ ولَئِنْ سألتهمْ مَنْ خلق السمواتِ والأرضَ ليقوْلنَّ خلقهنَّ العزيز العليم ﴾[1] .

وفي السورة نفسها يقول تبارك وتعالى : ﴿ ولَئِن سأَلِتهم من خلقهم ليقولُنَّ الله فأنى يؤفكون ﴾[2] . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ قل إنما أَنا منذَرٌ ومامن إله إلا الله الواحد القهار ، ربُّ السموات والأرض ومابينهما العزيز الغفار ﴾[3] .

وفي سورة الزمر يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِنْ تكفروا فإنَّ الله غَنَيٌ عنكم ولا يرضى لعباده الكفر ﴾[4] .

فمعنى ﴿ لا إله إلا الله ﴾ نافياً جميعَ مايُعْبَدَ من دون الله سبحانه وتعالى مُثْبِتاً العبادةَ لله وحده ، فهي نَفْيٌ وإثبات ، نفيُ الألوهيةِ ، أو الالاهية عما سوى الله تعالى واثباتها له جل جلاله .

فهو سبحانه وتعالى المستحق للعبادة لذاته ، لأنه المألوه المعبود ، الذي تألهه القلوب وترغب إليه ، وتفزع إليه عند

---

(١) الزخرف الآية /٩.
(٢) الزخرف الآية /٨٧.
(٣) سورة ص الآية /٦٥، ٦٦.
(٤) الزمر الآية /٧.

الشدائد ، وماسواه مفتقر مقهور بالعبودية ، فكيف يصلح أن يكون إلهاً ؟

إنَّ هذه الكلمة العظيمة هي التي شهد الله بها لنفسه ، وشهد بها له ملائكته وأولو العلم من خلقه ، كما قال تعالى : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾[1] .

إنها كلمة الإسلام ، لايصح إسلام أحد إلا بمعرفة ماوصفت له ودلت عليه ، وهي كلمة الإخلاص المنافية للشرك ، وهي كلمة التقوى التي تحمي قائلها من الشرك بالله سبحانه وتعالى . يرتفع بها الإنسان من الحضيض إلى أعلى درجات النعيم ، وهي التي يدخل بها المرء في عداد المؤمنين ، وهي الكلمة التي يُحاجُّ بها عند الله ، وهي الكلمة المحببة إلى قلب كل مؤمن ، بها يعصم المرء نفسه وماله وعرضه .

قال عنها الصادق الأمين ﷺ : (أفضل ماقلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لاشريك له)[2] ، فهي تقرر معنى الربوبية وتثبت معنى الألوهية ، وهما حق الله سبحانه

---

(١) آل عمران الآية /١٨ .
(٢) شرح الزرقاني على الموطأ : ٢ /٣٨ دار الفكر.

وتعالى ، لذا يجب على قائلها فهمُ معناها والعمل بمقتضاها على علم وبصيرة حتى يفوز برضوان الله وجناته ، وما أعده لمن قالها مؤمناً من قلبه وصدق ذلك جوارحه .

إن إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة هو حقيقة التوحيد ، لذا نجد الكفار قد امتنعوا عن ذلك ورفضوه عندما بلَّغهم عليه الصلاة والسلام رسالةَ ربهم سبحانه وتعالى ، ولم يقبلوا أن يكون لهم إله واحد ، وكيف يقبلون ذلك وقد قاموا ردحاً من الزمن على تلك الحجارة التي يطلقون عليها اسم « الآلهة » حتى أصبحت تلك الأصنام والأوثان آلهتهم بمرور الزمن ، بعدما كانوا يقولون ويدعون أنهم اتخذوها لتكون لهم واسطة عند الله سبحانه وتعالى .

وقد صور الكتابُ العزيز موقف الكفار مع النبي ﷺ أدق تصوير فقال سبحانه وتعالى : ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيء عجاب ﴾[1] .

لقد أصبحت الحقائق الثابتة الواضحة الساطعة لديهم من الأمور العجيبة التي لاتصدق ، كل ذلك كان نتيجة لتهاونهم في توحيد الله سبحانه وتعالى .

(١) سورة ص الآية /٥.

إن المتتبع لدعوة سيد المرسلين وإمام المتقين ﷺ يرى هذه المواقف ماثلة أمامه ، خاصة ماكان في بداية الدعوة في عهدها المكي ، كذلـك بعد الهجرة إلى المدينة مع بعض الكفار في جزيرة العرب ، لقد أكد ﷺ على ما يجب أنْ يكون عليه قائلُها من إخلاصٍ لله سبحانه وتعالى بقلبه وجوارحه ، وبُعْدٍ عن كل مامن شأنِه أنْ يحولَ بينه وبين تحقيقه لهذه الشهادة على الوجه الصحيح وحذر من الوقوع في مايناقض معناها من أفعال أو أقوال ، كالتي نراها ونسمع عنها في وقتنا هذا كالغلو في الأقوال والأفعال والاتجاه إلى القبور ـ قبور الأولياء والصالحين أو من يَدَّعـون أنهم أولياء ـ الاتجـاه إليها فيما لايقدر عليه إلا الله سبحـانـه وتعالى ، والاعتقاد في أصحابها ناسين أو متناسين المعنى الحقيقي لهذه الكلمـة المبـاركـة وهو الإخلاص التام والإنقياد المطلق لله رب العالمين في جميع أنواع العبادة سواءً ، ماكان قولاً أو عملاً ، وجميع المظاهر الشركية الأخرى التي وقع فيهـا كثـير من الناس والعياذ بالله ، كالرياء والرقي والتمائم والطيرة والتوله[1] . والحلف بغير الله ، والسمعة وصدق ربنا العظيم إذ يقول : ﴿ ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾[2] .

---

(١) التولة : معاذة تعلق على الإنسان .

(٢) يوسف الآية /١٠٦ .

وفي مسند أحمد قال ﷺ : (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)[1] . إضافة إلى اعتقاد البعض من الناس بأن هناك من يملك الضر والنفع غير الله سبحانه وتعالى سواء كان ذلك نبي مرسل أو ملك مقرب .

ومن الناس من يصرف بعض أنواع العبادة لغير الله سبحانه وتعالى قائلين بأننا نقدمهم واسطة بيننا وبين الله سبحانه وتعالى ، فيقعون بذلك في الشرك كما كانت تقول العرب ، كما صور القرآن الكريم حالهم ، قال تعالى : ﴿ مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾[2] .

إنَّ المفهوم الحقيقي لكلمة التوحيد ﴿ لا إله إلا الله ﴾ هو تجريد العبادة من كل شائبة تشوبها ، والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بإخلاص العبادة له وحده لا شريك له ، وترك الأنداد ، بتحقيق العبودية لله رب العالمين قولاً وعملاً واعتقاداً .

وبذلك يكون العبد من المحققين لكلمة الإخلاص ومن المتمسكين بعقيدة التوحيد ، كما أمر ربنا الكريم عباده في كتابه وسنة نبيه ﷺ وبذلك ينال الثواب ، جناتِ عدنٍ مفتحةً لهم الأبواب ، جعلنا الله من أهل لا إله إلا الله كما يحب ربنا ويرضى .

---

(١) مسند أحمد : ١/ ٣٨ .

(٢) الزمر الآية / ٣ .

المبحث الثاني
تفسير شهادة أن لا إله إلا الله

الشهادة لغة : الإخبار عن علم به واعتقاد لصحته وثبوته .

الشهادة شرعاً : الإقرار والإعتراف والتصديق والاعتقاد بأنه لايستحق العبادة إلا الله سبحانه وتعالى وحده لاشريك له .

وهذه الكلمة شعار المسلمين وعنوانهم البارز ، يحقق بها العبد عبوديته للخالق تبارك وتعالى ، إقراراً وخضوعاً وتمجيداً له جل وعلا .

بها تشرق النفس وتسمو ، فترتبط بمن خلقها سبحانه وتعالى ، تحس بالأمن والأمان لقربها من الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى ، وتجد لها حلاوة في القلب وتأثير على الجوارح فلا تتحرك حركة إلا وفقاً لما شرع سبحانه وتعالى .

ومـا قام به سلف هذه الأمـة الصالح من صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحســان من بث هذا الـدين ونشره في أطراف الأرض إلا دليل على إكتمال السعادة لديهم ، بعد أن تذوقوا حلاوة هذا الإيمان وإشراقة هذه الكلمة على نفوسهم ، فقدموا هذه النفوس فداء لها في سبيل الدفاع عنها والجهاد في سبيلها ، اقتداء وتأسياً بإمام المتقين ﷺ الذي تعرض للموت في سبيل هذه الكلمة المباركة ، التي لها تأثير روحي عظيم على الإنسان يحس به كل من أنعم الله سبحانه وتعالى عليه بها ، فهي تطهِّر نفس صاحبها وتزكيها وتصقلها فيسلم نفسه لله رب العالمين .

لقد عرف أعداء الإسلام مكانتها في الإسلام لذا نجدهم قد وجهوا سهامهم إليها من كل حدب وصوب ، فهم يدركون مالها من قوة وتأثير على من نطق بها وحقق معانيها ، لذا فهم جادون في محاربتها وإقصاء المسلمين عنها ، فهاهم يعملون جادين على نشر الخـرافـات والأبـاطيل بين أفـراد المجتمـع الإسـلامي مشجعـين أصحـاب الأهواء والمبادىء الهدامة ، يدعمونهم مادياً ومعنوياً ، وما القاديانية والبهائية إلا حلقة في مسلسل طويل جداً وضعه اليهود لتحطيم المسلمين وسلخهم عن عقيدتهم عقيدة التوحيد الخالدة .

نعم إنـه مخطط محكم الحلقات موجه لهذه العقيدة يتخذ مسارات متعددة وأساليب مختلفة ، فهم يدركون تمام الإدراك أثر كلمة التوحيد العظيم وقوتها الهائلة في نفوس معتنقيها ، لذلـك يعملون كل مافي وسعهم لإبعادنا عنها بكل الوسائل لأنها هي القوة التي ترهبهم وتزلزلهم ، لذلك نجدهم يعملون ليل نهار على بث وسـائـل محاربـة هذا الدين ، والمتمثلة في الحركات الهدامة قديماً وحديثاً ، لأنهم يريدون أن تكون لهم السيطرة والسيادة على العـالم ، وذلـك للقضاء على الإسلام العدو اللدود لهم كما يدعون ظلماً وعدواناً .

ولا نستغرب هذا من اليهود ، فقد حاربوا الله ورسوله ، وقتلوا أنبياء الله وتمـردوا على أوامـر الله وتعـاليمـه ، وتنكبوا الطريق ، قاتلهم الله وأخزاهم ورد كيدهم إلى نحورهم .

إن كلمة التوحيد ﴿ لا إله إلا الله ﴾ أفضل الذكر كما بينا سابقاً ، وهي الركن الأول من أركان الإسلام الخمس ، بها يُعْلِنُ المـرءُ إسلامه وانضمامه إلى المؤمنين بالله رب العالمين ، والمـطيعـين أمره ، المتمسكين بحبله المتين ، المعتمدين عليه سبحانه وتعالى ، المفوضين أمرهم له جل وعلا .

إنها مُثْبَتَةٌ نافية ، مُثْبَتَةٌ العبادةَ لله وحده لاشريك .

لذا يَلْزَمُ قائلَها أن ينفي بالفعل مانفاه بالقول ، وأن يثبت

بالفعـل ماأثبتـه للحق جل وعلا بالقول ، لأن الهدفَ ليس النطقُ باللسان ، بل تحقيقُ المعنى المشتملة عليه هذه الكلمة المباركة ، لقد قاتل الولد والده والأخ أخاه والقريب قريبه يوم بدر في المعركة الكبرى لأنه ليس على دينه وعقيدته .

وقـد عرفت العـرب في الجـاهلية معنـاهـا حق المعرفة ، فامتنعوا عن قولها والتلفظ بها ، إلا من أراد الله سبحانه وتعالى له السعادة والخير وكتب له الفلاح والفوز والنجاة ، إنَّ كلمة التـوحيد ﴿ لا إلـه إلا الله ﴾ الطيبة المباركة تتضمن حقائق جليلة ومعاني سامية منها : الدلالة إلى اليقين الثابت بوجود الله سبحانه وتعالى وهيمنته على هذا الكون العظيم الذي يعجز العقل البشري عن إدراكه .

والـذي تتجـدد فيه الحـوادث وتـظهر فيه من حين لآخر المخترعات والإبتكارات ، هذا الكون الذي لابد له من إله خالق مدبر حيّ لايموت أبداً، عليم لاتخفى عليه خافية محيط بكل شيء ، حكيم رحيم منزه عن العيوب والنقائص ، جل جلاله وتقدست أسماؤه ـ لا إله ولا رب سواه غني عن عباده ، لاتنفعه عبادتهم ولا تضره معصيتهم ، تَأْلُهه جميع القلوب ، حباً وإنابة وإجلالاً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً ، وخوفاً ورجاء ، وتوكلاً ، تعالى ربنا العظيم علواً كبيراً .

المبحث الثالث
تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله

إذا كانت كلمة التوحيد هي الأساس الأول للإيمان ، واللبنة الأساسية للعقيدة والفارق الذي يُمَيزٌ بين الكفر والإيمان ، فإن هذه الكلمة الطيبة الخالدة لاتتحقق بمجرد النطق بها فقط، بل بمصاحبة العمل ، ومعلوم أنك إذا كنت مصاباً بصداع وألم في الرأس فلن ينفعك تكرار لفظ « مسكن » ولو كان ذلك لألْفِ مرة ، دون أن تتناول ذلك المسكن فعلاً ، وينتشر الدواء عن طريق الدم في جسمك ويصل إلى موضع الألم فيعمل على إيقافه بإذن الله سبحانه وتعالى كذلك هذه الكلمة المباركة الطيبة ، هي وإن كانت تنقذ قائلها من الحكم عليه بالكفر إذا نطق بها ، وتدخله في دائرة الإسلام ، وتعطيه فرصة لَيْعِرف الإسلام ، لكنه لايجنى ثمارها إلا إذا استقرت في سويداء قلبه ، وأفاضت إلى جوارحه وأعضائه من نورها وهديها ، وانصهر في بوتقتها وتفاعل معها ، عمل بمقتضاها وسار على هداها ، بذلك يكون من المحققين لها قولاً وعملاً ، وهو المراد الحقيقي منها .

إن المؤمن المصدق بهذه الكلمة يبتعد عن كل شيء صغيراً كان أم كبيراً مما يؤدي إلى إحباطها ونقضها ، وفي الوقت نفسه يستمسك بها قولاً وعملاً ويكون هواه تبعاً لما جاء بها وتضمنته .

عليه يكـون تحقيقها بتخليص النفس وتصفيتها من شوائب الشرك والبدع والخرافات ، فلا يتصرف إلا وفقاً لها ولما جاءت به من أوامر ونواهي عندها يكون المرء مؤمناً بربه حق الإيمان ، مخلصاً العبادة له وحده جل شأنه بلا رياء ولا سمعة ، يوافق مظهره مخبره .

يقـول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ الذين آمنوا ولم يَلْبسـوا إيمانهم بظلم أولئـك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾[1] والمراد باللَبس في هذه الآية الكريمة (الخلط) أي الذين لم يخلطوا إيمانهم الذي تلفظوا به بألسنتهم واعتقدوا بقلوبهم بشرك .

وقد فُسِّرَ الظُلْمُ بالشرك ، كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذ يقول : (لما نزلت ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ﴾ الآية قلنا يارسول الله : أينا لايظلم نفسه ؟ قال : كما تقولون ، لم يلبسوا إيمانهم بظلم : بشرك ، أو لم تسمعوا قول لقمان لابنه : ﴿ يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾[2]) .

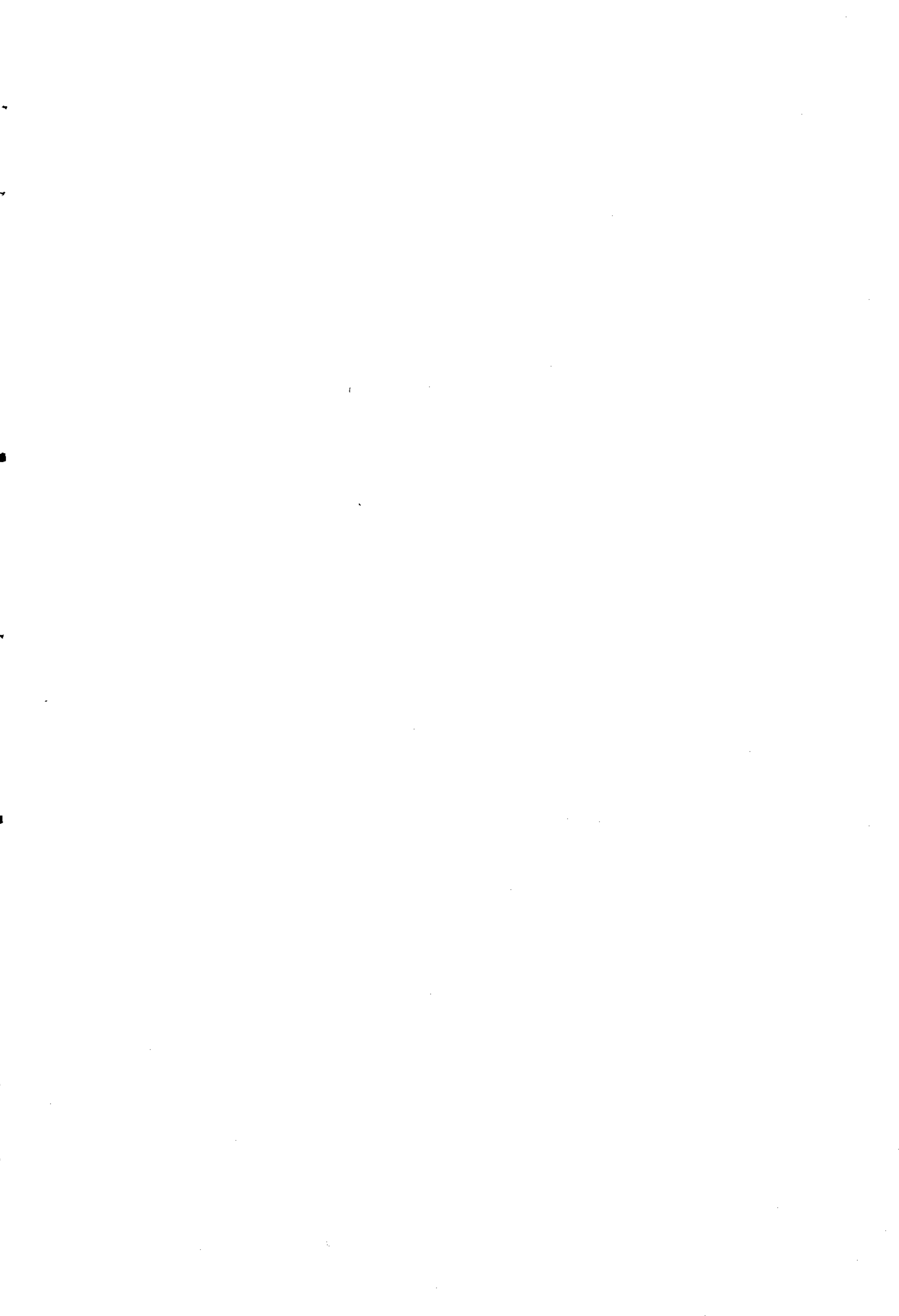
---

(١) الأنعام الآية /٨٢.

(٢) لقمان الآية /١٣ .

فمن آمن بالله سبحانه وتعالى حق الإيمان ، كان له في الآخرة الأمن من عذاب الله وفي الدنيا الهداية ، لقد آمنوا برب العالمين سبحانه وتعالى وأخلصوا له العمل ، لايخلطون بهذا الإيمان أيَّ صورة من صُوَر الشرك لا في عبادة ولا طاعة ولا اتجاه ، فكان لهم الأمن والأمان والهداية جزاء إصابتهم السبيل وسلوكهم طريق النجاة .

فها هو كتاب الله العزيز وهاهي سنة سيد المرسلين وإمام المتقين من تمسـك بهما وسـار على هديهـما كان من المحققـين لكلمـة الإخلاص ، ومن لم يكن كذلك فهو من الضالين الغاوين ، من حزب الشيطان ، مأواه جهنم وبئس المصير ، لأن الذي يزيغ عنهما هو الهالك حقاً والذي يتمسك بهما هو الناجي حقاً ، جعلنا الله من المتمسكين بها الذائدين عنها إنه وليُّ ذلك والقادر عليه .



المبحث الرابع
أركان وشروط لا إله إلا الله

لكلمة الإخلاص أركان وشروط وسنتحدث أولاً عن أركانها ثم ننتقل بالحديثِ إلى شروطها بعد إيضاح الأركان بصورة مجملة وسريعة .

أولاً : الأركان :

أركان لا إله إلا الله اثنان .

أولاً : النفي . **الثاني** : الإثبات .

وحَدُّ النفي من الإثبات : ﴿ لا إله ﴾ أي نافياً جميع مايعبد من دون الله ، والإثبات ﴿ إلا الله ﴾ أي مثبتاً العبادة لله وحده لاشريك له في عبادته كما أنه لاشريك له في ملكه .

كما أن كل حيز مشغول بمادة لايمكن شغله بمادة أخرى إلا بعد تفريغه وتخليته من المادة السابقة الموجودة فيه ، لذلك كان النفي مقدماً على الإثبات في كلمة الإخلاص ، وورود الإثبات بعد النفي أقوى في الدلالة من وروده بعد الإثبات .

لذلك لابد من تخليص القلب وتصفيته من كل شائبه شرك أو شك وأن لايلتفت قائلها بقلبه وجوارحه إلا له سبحانه وتعالى وأن يَصْرِف جميع أنواع العبادة له وحده جل وعلا .

ثانياً : الشروط :

ان شروطها سبعة لاتصح ولا تنفع إلا إذا اجتمعت وهي :

الشرط الأول العلم :

ويقصد به العلم ـ بمعناها نفياً واثباتاً ، قال تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ وقال جل وعلا : ﴿ إلا من شهد بالحق وهم يعلمون ﴾ وقال ﷺ : (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة)[1] .

الشرط الثاني : اليقين :

أي استيقان القلب بها ، قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾[2] .

وقال ﷺ : (اشهدوا أَنْ لا إله إلا الله وأَنى رسول الله لايلقى الله بها عبد غير شاك فتحجب عنه الجنة)[3] .

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٣/١١ .

(٢) الحجرات الآية /١٥ .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٣/١١ .

الشرط الثالث : الإخلاص :

قال تعالى : ﴿ وماأُمِروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾[2]، وقال عليه الصلاة والسلام : (أسعدُ الناسِ بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصة من قبل نفسه)[3].

رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه .

الشرط الرابع : الصدق :

وهو أن يكون صادقاً في إيمانه ، صادقاً في عقيدته ، ومتى كان كذلك فإنه سيكون مُصدِّقاً لما جاءه في كتاب ربه سبحانه وتعالى أو ماجاء على لسان رسوله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ والذي جاء بالصدق وصَدَّق به أولئك هم المتقون ﴾[4].

وقال عليه الصلاة والسلام : (من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة)[5] والصدق في المعتقِد شرط من شروط صحة المعتقَد ولن ينتفع بالنطق بالشهادة إنْ لم يكن صادقاً في اعتقاده بها .

---

(١) البينة الآية /٥ .
(٢) الزمر الآية /٣ .
(٣) المسند: ٢/٣٧٣ .
(٤) الزمر الآية /٦٥ .
(٥) المسند: ٤/٤٠٢ .

الشرط الخامس : المحبة :

وهي أن يكون الله سبحانه وتعالى أحب إليه مما سواه .

قال تعالى : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾[1] .

وقال ﷺ : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما)[2] .

والمحبة تكون بتقديم شرع الله الذي جاء به رسوله ﷺ على كل ماسواه من النفس والولد والوالد والمال والناس أجمعين ، كما قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم دنوبكم والله غفور رحيم ﴾[3] .

فيحب مايحبه الله ، ويبغض مايسخطه الله سبحانه وتعالى ، فيمتثل أوامره ويجتنب نواهيه ، ويوالي أولياءه ، ويعادي أعداءه .

والمحبة هي حقيقة العبودية ، ولايمكن قبول وآداء عبادة من العبادات التي أمر الحق تبارك وتعالى بها عبادة بدون المحبة ، وهل يستطيع الإنسان أن يقوم بعمل لايحبه إلا في حالات القسر والإكراه .

---

(١) المائدة الآية /٥٤ .

(٢) البخاري : ١٨/١ .

(٣) آل عمران الآية /

والحب هذا ليس جديداً على الإنسان ، إنه فطري ، إنه حب العبد لسيده ومليكه وخالقه ومصوره ومحييه ومميته سبحانه وتعالى لا إله غيره ولا رب سواه .

الشرط السادس : الإنقياد لها ظاهراً وباطناً :

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ﴾[1] .

وقال ﷺ : (لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)[2] .

وقوله ﷺ : (لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)[3] . إنها المحبة المطلقة والانقياد التام للحبيب مايأمر به ومايحذر عنه صلوات الله وسلامه عليه .

الشرط السابع : القبول لها :

أي أن لا يَرُدَّ أيَّ شيء من مقتضيات لا إله إلا الله ولوازمها التي جاء بها الشارع الحكيم ، قال تعالى : ﴿ إنهم كانوا اذا

---

(١) لقمان الآية /٢٢ .

(٢) صححه النووي في الأربعين.

(٣) مختصر مسلم ص : ١٤

قيل لهم لا إلـه إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتِنا لشاعر مجنون ، بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾[1] .

وقال ﷺ : (مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها النـاس فشربـوا وسقـوا وزرعـوا وأصـاب منها طائفة أخرى ، إنما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه مابعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل[2] هدى الله الذي أرسلت به)[3] .

---

(١) الصافات الآية /٣٥ ـ ٣٧ .
(٢) هذا هو الشاهد .
(٣) صحيح البخاري : ٥١/١ عالم الكتب .

المبحث الخامس
آثار لا إله إلا الله على المسلم

يعلم كل من أنعم الله سبحانه وتعالى عليه بنعمة الإسلام واتباع خير الأنام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام مابه من نعمة عظيمة وخير كثير ، ويحس بأنه يقوم بدور في هذه الحياة يعود عليه بالخير العميم والأجر العظيم فهو صالح مصلح ، نافع مستنفع .

لقد أخلص العبادة لله وحده لاشريك له ، وتجرد من كل ماسواه من عباد وأحجار وتماثيل وقبور وأفلاك وغيرها ، تحرر من كل ذلك ، وأخلص العبادة لله وحده لاشريك له في عبادته ، كما أنه ليس له شريك في ملكه ، لقد فوض أمره لله ، اعتمد عليه في كل شيء ، لايخشى إلا هو ، ولا يطلب إلا منه سبحانه وتعالى .

ذاق حلاوة الإيمان ، فشع منه الخير والصلاح ، أخذ ينشر ذلـك بين عبـاد الله ، القـابعـين على معبوداتهم المختلفة ، الجاحدين نعمة خالقهم وتفضله عليهم ، لأنه يحب للناس جميعـاً الخير والسعادة ، لأن رسالة الإسلام الخالدة إنما هي رسالة عالمية ليست لأحد دون الآخر، أو لأمة دون أمة، أو لشعب دون شعب ، أو لجنس دون جنس من البشر ، وإن من آثار هذه الكلمة المباركة كلمة التوحيد والإخلاص توحيد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ، صفاء نفس الموحد وحبه للخير والسلام والحرية الحقيقية ، المتمثلة في نبذ عبادة ماسوى الله وإخلاص العبادة له سبحانه وتعالى لأنه تجرد من جميع أشكال وألـوان الأنانيات وأخذ يدعو إلى كلمة التوحيد ﴿ لا إله إلا الله ﴾ بكـل مايملك من وسائل التبليغ والدعوة، قديمة كانت أم حديثة .

لِمَ لايحب الخير والصلاح والاستقامة للناس ؟ .

وقـد كان يعيش في ضلال وهـاهـو الآن يعيش في هدى وصلاح لقد كان يعيش في ظلام الكفر وهاهو الآن ينعم بنور الإيمان ، لقد كان يعيش تحت وطأة نظام طبقي جائر وهاهو الآن يعيش في كنف نظام اجتماعي عادل ارتضاه رب العالمين لعبـاده ، (العـالِمُ بما يصلح لهم) لافرق فيه بين أحد ، لا امتيازات لأحد دون أحد ، الكل سواء ، التفاضل والتمايز فيه

بالعمـل الصالح والتقوى ، مجتمع مثالي ، قضى على جميع أشكال وألوان التفرقة والطبقية التي كان ومازال يرسخ تحتها الكثـير الكثير من الناس ، لافرق فيه بين أبيض وأسود ولا عربي وعجمي إلا بالتقوى ، كما قال الصادق الأمين ﷺ : (ياأيها الناس ألا إنَّ ربكم واحد وإنَّ أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى)[1] .

- وأن من آثـار كلمة التوحيد على أهلها تحرير عقولهم من الأوهـام ، والخـرافـات وتـوجيههـا إلى التفكير في صنع الله العزيز ، فأصبحوا بذلك مواكب نور هداية تجوب أنحاء الكرة الأرضية داعية الى عبادة رب العباد سبحانه وتعالى وترك الأنداد والشركاء وجميع أشكال المعبودات التي انتشرت بين الناس ، وإنَّ من آثار هذه الكلمة المباركة على أهلها أن صاروا رهباناً بالليل أُسُوداً بالنهار ، تراهم ركعاً سجداً ، وتراهم أبطالاً في ساحـاتِ الـوغىٰ أقـوياء أشـداء بإيمانهم بأن الله ينصر من ينصره ، لا غالب لأمره ولا معقب لحكمه سبحانه وتعالى .

ومن آثار لا إله إلا الله أنهم كانوا ومازالوا مضرب الأمثال في الخلق الكـريم والسلوك المستقيم والنفـوس الـطيبـة ،

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٥/٤١١ ، المكتب الإسلامي .

والأرواح العالية الرفيعة وكيف لايكونون كذلك هو ينهلون من النبع الصافي كلام رب العالمين القرآن الكريم ، ويتعلمون على يدي صاحب الخلق العظيم مَنْ أَدَّبَهُ ربُّهُ فأحسن تأديبه محمدِ بن عبد الله ﷺ .

- ومن آثار لا إله إلا الله أنهم افتدوها ويفتدونها بالمال والولد والروح نعم افتدوها بذلك كله ، لإيمانهم بما أعد الله سبحانه وتعالى للشهداء في سبيله من نعيم مقيم وخير كثير . قال تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاَّ خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[1] .

إنَّ الحديث عن آثار لا إله إلا الله لاتكفيه هذه العجالة ، إلا أَنَّ خشية الإطالة دعت إلى الإختصار ، لأن الأمثلة كثيرة والشواهد على آثارها عظيمة .

ونستطيع أن نجمل آثارها في هذه العبارات ، الإيمان بالله وحده ، والعزة والقوة والسعادة ، والإطمئنان ، والعزم والإقدام ، والصبر والثبات والعمل الجاد والفداء والتوكل والإخلاص والجهاد .

---

(١) آل عمران الآية / ١٦٩ ـ ١٧١ .

المبحث السادس
أقسام التوحيد

التوحيد هو أفراد الله بالعبادة ، وهو أساس الإسلام ، منه تنبثق سائر نظمه وأحكامه وأوامره ونواهيه .

لقد أصطُلح على تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام :

أ ـ توحيد الألوهية .

ب ـ توحيد الربوبية .

ح ـ توحيد الأسماء والصفات .

وسوف نقف إنْ شاء الله على كل قسم من هذه الأقسام لتمام الفائدة وذلك لأهمية الموضوع .

أولاً : توحيد الألوهية :

وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وإفراده وحده بالعبادة كلها ، وإخلاص الدين له وحده جل وعلا .

وهذا هو توحيد العبادة ، وهو التوحيد الفعلي لأنه يتضمن أفعال القلب والجوارح ، كالصلاة والصيام والحج .

دعت إليه جميع الرسل ، وأُنِزلَتْ به الكتب إلى سائر الأمم ، قال تعالى : ﴿ ولقد يعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا

الله واجتنبوا الطاغوت ﴾[1] .

فهذه دعوة الرسل جميعاً من أولهم إلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاَّ نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾[2] .

إنَّ العبد كلما تذلل وخضع وافتقر إلى رب السموات والأرض كان أقرب إليه سبحانه وتعالى ، فأسعد الخلق أعظمهم عبودية لله سبحانه وتعالى أقربهم منه جل وعلا ، إنَّ الحب الخالص والانقياد التام لله رب العالمين ، من علامات تحقيق توحيد العبادة .

ثانياً : توحيد الربوبية :

وهو توحيد الله بأفعاله جل وعلا ، وهو الذي أقر به الكفار على زمن رسول الله ﷺ ، ولم يُدْخِلْهم ذلك الاقرارُ في الإسلام ، فقاتلهم ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم ، قال تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فعل أفلا تتقون ﴾[3] .

---

(١) النمل الآية /٣٦ .
(٢) الأنبياء الآية /٢٦ .
(٣) يونس الآية /٣١ .

إنَّ الاعتراف والإقرار بهذا القسم من أقسام التوحيد ملزم بالاعتراف بالقسم الأول وهو توحيد الألوهية واخلاص العبادة لله وحده لاشريك له .

إنَّ الأدلة على ربوبية الحق تبارك وتعالى وتفرده بها وعدم مشاركة أحدٍ له فيها كثيرة جداً ، وبنى آدم مقرون ومعترفون بذلك وكتاب ربنا العزيز يؤكد ذلك قال تعالى : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولُنّ خلقهنَّ العزيز العليم ﴾[1] .

إنَّ كل شيء في هذا الكون العظيم يشهد أن الله هو رب العالمين خالق كل شيء لارب سواه ولا إله غيره .

إنَّ هذه العظمة وذلك الإبداع والتناسق والنظام والدقة في هذا الكون العظيم أدلة قاطعة وبراهين واضحة مُقْنِعَة بأنَّ خالق هذا الكون ومدبره واحد أحد . فرد صمد ، وصدق ربنا العظيم الجليل اذ يقول : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإنْ يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضَعُفَ الطالب والمطلوب . ماقدروا الله حق قدره إنَّ الله لقوي عزيز ﴾[2] .

---

(١) الزخرف الآية /٩.
(٢) الحج الآية /٧٣ ـ ٧٤.

ثالثاً : توحيد الأسماء والصفات :

وهـو أن يوصف الله سبحـانـه وتعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ من صفات الكمال التي تعرف بها سبحانه وتعالى إلى عباده ، ونفى مالا يليق بجلاله وعظمته ، من غير تشبيه أو تمثيل أو تحريف أو تأويل أو تعطيل . كما قال عز وجـل : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون ﴾[2] .

وتحقيق هذا القسم من أقسام التوحيد بالإيمان بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته ، التي سمى ووصف بها نفسه سبحانه تعالى في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله الأمين ﷺ ، من غير تحريف أو تعطيل أو تشبيه أو تأويل أو تمثيل إيماناً مطلقاً صادقاً راسخـاً كما يحب ربنـا الجليل ، ويرضى ، لاتـزعزعه أقوال المتفلسفين ، أو أرجاف المرجفين من مأولة أو معطلة أو مشبهة أو غيرهم من أهل الأهواء .

يقول صاحب أضواء البيان رحمه الله تعالى في رسالة له في هذا الباب :

---

(١) الشورى الآية / ١١ .

(٢) الأعراف الآية / ١٨٠ .

« أعلموا أن مبحث آيات الصفات دل القرآن العظيم أنه يتركـز على ثلاثة أسس من جاء بها كلها فقد وافق الصواب وكـان على الاعتقـاد الـذي كان عليه النبي ﷺ وأصحـابـه والسلف الصالح ، ومن أَخَلَّ بواحدة من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل » ، وهذه الأسس هي :

١ ـ تنزيه الله جل وعلا أن يُشْبِهَ شيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ وقوله تعالى : ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾ .

٢ ـ الإيمان بما وصف الله نفسه ، لأنه لايصف الله أعلمُ بالله من الله قال تعالى : ﴿ أأنتم أعلم أم الله ﴾ .

والإيمان بما وصفه به رسول الله ﷺ ، لأنه لايصف الله بعد الله أعلمُ باللهِ من رسول الله ﷺ وينزه ربَّه جل وعلا عن أن تشبه صفته صفة الخلق .

٣ ـ أن تقطعوا أطماعكم من إدراك حقيقة الكيفية ، لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل ، وهذا نص الله عليه في سورة طه حيث قال : ﴿ يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً ﴾ .

وهـذا إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى يقول : « الاستواءُ

معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة » .

اللهم إننا آمنا بك وبكتبك ورسلك وملائكتك وباليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وأنك متفرد بالجلال والكمال ، وخالق كل شيء، بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير، لا إله غيرك ، ولا ربَّ سواك ، تعاليت عما يقولون علواً كبيرا .

إنَّ التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة هو الإسلام كله ، لأن تحقيق ﴿ لا إله إلا الله ﴾ هو في الحقيقة نفي لجميع مايعبد من دون الله ، وإثبات العبادة للخالق وحده سبحانه وتعالى .

فهو روح الإسلام ولُبُّه ، به يحقق الإنسانُ عبوديته لله رب العالمين وبه أيضاً يعصم نفسه وماله وعرضه من أن تمتد إليه يد آثمة ظالمة ، منه يستمد الإنسان قوته ، بل يحقق ذاته من خلال خضوعه وافتقاره لخالقه فاطرِ السموات والأرض ، الذي استخلفه في هذه الأرض ، ليقوم بعمارتها ويقيم الحق والعدل والسلام من خلال تمسكه بتعاليم خالقه سبحانه وتعالى التي أنزلها على عباده من خلال الرسالات السماوية المنزلة على رسله عليهم السلام ، وإيمانه بأسماء الحق تبارك وتعالى وصفاته من غير تشبيه أو تمثيل أو تأويل أو تعطيل أو

تحريف ، فهو خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير سبحانه وتعالى عما يصفون ، لا إله غيره ولا رب سواه .



المبحث السابع
نواقض لا إله إلا الله

لقد ذكرنا عند الحديث عن شروط لا إله إلا الله سبعة أمور أوضحهـا العلماء رحمهم الله تعـالى ، لبيان صحـة الإيمان وقبوله ، ويحسن بنا هنا أن نذكر تلك الشروط في هذا البيت :

عِلْمُ قَبـول صدقٌ يقينٌ مع   انقيادٍ واخـلاص ٍ ومحبة لها

ولما كانت هذه الشروط السبعة لازمة لتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وإيمان العبد بخالقه سبحانه وتعالى كما يحب سبحانه وتعـالى ويرضى ، يكون نقيض كل شرط من تلك الشروط قادح في صحة الشهادة ، وناقض لها .

ومعلوم عنـد الأصوليين أن الشروط هو مايلزم من عدمه العـدم ، ولايلزم من وجـوده الوجود لذلك فإن عكس هذه الشروط هي نواقض ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وإليكموها مفصلة :

أولاً : الجهل :

وهـو جهـل الإنسـان بـ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وذلك عندما لايحـاول معـرفـة معناها ، وذلك لأن جهله بها لايمكنه من

تحقيق ماجاءت به من نفي وإثبات ، نفي لسائر المعبوداتِ على اختلاف أنواعها ومسمياتها ، وإثبات العبادة لله وحده لاشريك له إن الجهل بمعنى لا إله إلا الله يوقع العبد في الشر والهلاك من حيث لايدري وكما هو معلوم فإن الجهل ضد العلم ، لذا فإنَّه من نواقض الشهادة .

وصدق رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، إذ يقول : (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة)[1] .

وكيف يكون عمل بلا علم ، لذا يلزم العبد أن يعرف ويعلم معنى لا إله إلا الله لنعمل بما علم ، إذ لاعمل بلا علم ، فعلى المسلم أنْ لا يكون جاهلاً بكلمة التوحيد . إذ أنَّ المعَوْلَ على العمل ليس النطق فقط كما تقول المرجئة ، إذْ أنَّ تحقيق الشهادة لابد أن يكون قولاً وعملاً ، قولاً باللسان وعملاً بالمضمون مضمون كلمة التوحيد ، حتى يكون من أهلها .

ثانياً : الارتياب :

ونعني بالارتياب الشك ، قال صاحب اللسان ، الريب :

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان.

صرف الدهر والريب والريبة : الشك والظنة والتهمة[1] .

وهو ضد اليقين وعكسه أي استيقان القلب .

فإذا شَكَّ القلب بكلمة التوحيد وماتحمله من نور وإيمان ، فإنه لايقوى على القيام بها جاءت وتضمنته من أوامر ونواهي وفعل وترك ، وبالتالي فإنَّ إيمانه لايردعه عن باطل أو يأمره بمعروف .

وصدق ربنا العظيم الجليل إذ يقول : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ الآية[2] .

وفي صحيح مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : (كنا مع النبي ﷺ في مسير ، قال : فَنَفَدَتْ أزوادُ القوم ، قال : حتى هم بنحر بعض حمائِلهم قال : فقال عمر : يارسول الله لو جمعت مابقي من أزواد القوم ، فدعوت الله عليها قال : ففعل ، قال : فجاء ذو البُرِّ بِبُرِّه ، ذو التمر بتمره ، قال : وقال مجاهد وذو النواة بنواه . قلت : وماكانوا يصنعون بالنوى ؟ قال : كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء ، قال : فدعا عليها ، حتى ملأ القوم أزودتهم[3] قال : فقال

(١) لسان العرب : ١/٤٤٢ .

(٢) الحجرات الآية /١٥ .

(٣) الأزودة : جمع زاد ويحتمل أنه سمى الأوعية أزواد باسم مافيها .

عند ذلك : « أشهد أَنْ لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لايلقى الله بَهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة »)[1] .

فعلى العبد أَنْ لايدع الشكوك والأوهام تقتحم يقينه وتُبْعِدُه عن حظيرة الإسـلام ، لأنَّ الريبة من نواقض كلمة التوحيد مثلما اليقين من شروط صحتها ، وعليه أَنْ يسأل الله الثبات والحفظ من وساوس الشيطان وهمسه ونفخه ونفثه إنَّه ولي ذلك والقادر عليه سبحانه وتعالى بيده الملك وهو على كل شيء قدير .

ثالثاً : عدم الإخلاص :

ان عدم الإخلاص كالنفاق والرياء والسمعة وابتغاء غير وجه الله سبحانه وتعالى في العمل يعتبر من نواقض كلمة التوحيد .

فإذا كانت أعمالُ العبد غير خالصة لله وحده فإنه لن يكون مؤمنـاً ، إذ إن المعول على النية كما قال ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى)[2] .

لابـد من إخلاص العمل وتنقيته من كل شائبة شك أو شرك أو نفـاق ، لأن الشرك يكـون في الأقـوال والأفعـال ،

(١) صحيح مسلم : ١/٥٦ .

(٢) متفق عليه .

والاعتقاد ، لهذا يقع في الشرك كلُّ من لم يخلص في قوله أو عمله أو اعتقاده ، لأن الله لايقبل من عبده أيَّ عملٍ لايكون خالصاً له ، سبحانه وتعالى ، وبالتالي فإنه لايكون من أهل لا إله إلا الله ، قال تعالى : ﴿ إنَّ الله لايغفر أَنْ يُشْرَكَ به ويَغْفر مادون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾[1] .

ويقول عز من قائل : ﴿ ولقد أُوحيَ إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت لَحْبَطَنَّ عمُلك ولتكونن من الخاسرين ﴾[2]

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، ومن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري ، تركته وشركه ﴾[3] .

إن عدم الاخـلاص في العمـل يحيطه ويوقـع صاحبه في الشرك ، وعمله مردود عليه ، لأن الله سبحانه وتعالى غَنيٌّ عن عباده ولا يرضي لهم ذلك أبدا وكما أن الاخلاص من شَروط

---

(١) النساء الآية /٤٨ .

(٢) الزمر الآية /٦٥.

(٣) صحيح مسلم: ٤/٢٨٩ .

صحة كلمة التوحيد فان عدم الإخلاص من نواقضها ، والله أسأل أن يرزقنا الاخلاص في القول والعمل والاعتقاد انه قريب سميع مجيب .

رابعاً : الكذب :

ونعني به عدم الصدق ، أي أن يكون العبد كاذباً غير صادق في إيمانه سواء كان ذلك في القول أو العمل ، أو الاعتقاد ، والكذب يؤدي بصاحبه إلى تكذيب ماجاء من عند الله عز وجل ، من أوامر ونواهي أو ماجاء به رسول الله ﷺ والصدق يحمل صاحبه على التصديق بكل ماجاء من عند الله في كتابه العزيز أو على لسان رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وهو من شروط صحة كلمة الاخلاص ﴿ لا إله إلا الله ﴾ .

إن العبد إذا لم يكن صادقاً في اعتقاده ، فإنه لن يكون من أهل هذه الكلمة المباركة ، قال تعالى : ﴿ والذي جاء بالصدق وصَدَّق به أولئك هم المتقون ﴾[1] .

والعقيدة من الإسلام بمنزلة القواعد من البنيان ، إذْ لايمكن أن يقوم بنيان على قواعد مهزوزة غير قوية وغير ثابتة .

---

(١) الزمر الآية /٣٣ .

فإذا قامت أعمالُ الإنسان واعتقاده على عقيدة صادقة سليمة كان الإيمان قوياً سليماً وبالتالي يكون العمل مقبولاً بإذن الله والعكس صحيح ، ولعله يلتبس على البعض الأمر في موضوع اليقين والصدق ، لذا نقول :

ان اليقين أعم من التصديق ، وعلى ذلك يكون كل موقن مصدقاً وليس كل مصدق موقناً ، أي أن بينهما عموم وخصوص كما يقول أهل الأصول أي أن الموقن قد مر بمرحلة التصديق .

فعلى العبد أن لايُكَذِّب ماجاء عن الله أو بعض ماجاء عن الله أو عن رسوله ﷺ الذي أمر الحق تبارك وتعالى بطاعته ، وقرن طاعته جل وعلا بطاعة رسوله ﷺ ، على العبدِ أن ينتبه لهذا الأمر لأنه خطير جداً وناقض من نواقض كلمة التوحيد ، محبط للعمل مبعد عن الله ورحمته جعلنا الله وإياكم من المصدقين الموقنين آمين يارب العالمين . .

خامساً : عدم المحبة (الكراهية) أو الكره أو البغض :

ان من يبغض كلمة التوحيد أو بعض ماتضمنته لايكون من أهلها وذلك لأن حبها وحب ماتضمنته من شروط صحتها ، لذا فإن عدم توفر المحبة يعني الكراهية والبغض وهذا من نواقض كلمة التوحيد ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وهذا يحول

بينـه وبـين تحقيق هذه الكلمـة قولاً وعملاً واعتقاداً وبالتالي يكـون قد تَغَلَّبَ لديه حب الشهـوات والهوى على حب الله ورسـولـه وشرعـه الحكيم وصراطـه المستقيم ، والمحبـة التي نقصـدهـا ونعنيها ليست تلك التي تعتمد على الأقوال فقط وليس لها رصيد من الصحة والحقيقة ، بل تعني المحبة الحقيقية التي يوافق فيها الاعتقادُ القولَ ، والقولُ العملَ ، العمل الذي جاء به الشارع الحكيم ، العمل الذي يعتمد على كتاب الله العزيز وسنة نبيه ﷺ .

أما القول باللسان وادعاء المحبة فقط فهذا لاينفع صاحبه أبداً يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾[1]

وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله قال : « من عادي لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وماتقرب إلى عبدي بشيء أحبُ إليَّ مما افـترضت عليه ، ومـايزال عبـدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وأن

(١) آل عمران الآية /٣١.

سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه وماترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره إساءته »)[1] .

وربنا العظيم يقول في محكم التنزيل : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبُ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين ﴾[2] .

ومعلوم أنه من أبغض شيئاً فيه ذكر الله أو جاء من عند الله أو من عند رسوله ﷺ أو أبغض رسوله ﷺ فقد كفر .

وعلى العبد أن يحذر من ذلك كله . ويخلص الحبَّ لله وحده لاشريك له ، وأن يحب في الله ويبغض فيه ، وينتبه لهذا الناقض من نواقض كلمة التوحيد حتى لايقع فيه ويكون من الخاسرين والعياذ بالله .

سادساً : الخروج عن شرع الله :

لما كان الانقياد لكلمة التوحيد شرط في صحتها فإن الخروج عنها ناقض لها وقادح في إيمان قائلها وذلك لأنه لم يذعن ويستجب لشرع الله الذي شرعه وبينه رسوله الكريم ﷺ .

---

(١) صحيح البخاري : ٨/١٨٦ .
(٢) التوبة الآية /٢٤ .

ان المعنى الحقيقي لكلمة التوحيد ﴿ لا إله إلا الله ﴾ هو الانقياد التام المطلق لها ولما جاءت به من أوامر ونواهي ، والتمسك بحبل الله المتين في السراء والضراء في الرخاء والشدة ، يرضى بما أمر الله ، ويقبل حكم الله ، ويحكم بما أنزل الله ولا يترك شرع الله ويذهب إلى القوانين الوضعية التي وضعها البشر بل أراذل البشر أعداء الله من يهود وأعوانهم ، بل يطبق أحكام الله في جميع شؤون حياته ، وان لم يكن كذلك فإنه خارج عن شرع الله عز وجل غير منقاد لأحكامه في كتابه العزيز أو سنة نبيه الأمين ﷺ قال تعالى : ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ﴾[1] .

وعدم الانقياد لكلمة التوحيد معناه الخروج منها وهذا يتنافي مع شروط صحتها ، فعلى العبد الحذر من ذلك فإن عاقبته وخيمة وعقابه أليم .

وهذا قد وقع فيه الكثير من الناس في زماننا أعاذنا الله من غضبه وسخطه فقد تركوا أحكام الله واستبدلوها بالقوانين الفرنسية والانجليزية القوانين البشرية الجائرة ، وتركوا النظام السماوي الرباني ، تركوا الخير والسعادة والفلاح والعدل ،

(١) لقمان الآية /٢٢ .

وتمسكـوا بالجور والظلم والاجتهادات البشرية التي لاتعتمد على حق أو عدل ، لأنها ناقصة ، لاتشمل حاجات البشرية كلها ، ومن أين يكتب لها الكمال والعدل وهي من نتاج عقول كافـرة فاجرة ، عقول هدفها تدمير الإسلام ، والقضاء على المسلمين ، فعليك أخي المسلم أن تتنبه لهذا الأمر الخطير ، وهـو الخروج عن شرع الله الذي شرعه لعباده ، فهو وحده العليم بما يصلح لهم وبما لايصلح - سبحانه وتعالى - .

سابعاً : رد شيء من لوازمها ومقتضياتها :

اذا كان القبول لها شرط من شروط صحتها ، فإن رد شيء من لوازمهـا يعتبر من نواقضها ، فعلى المسلم أن يقبل أمور الشرع جميعها ، ولا يردَّ أيَّ شيء مما جاء في كتاب الله العزيز أو سنة نبيه الأمين ﷺ .

لقد أوضح الصادق الأمين هذا المعني في أجمل صورة بيانية وأوضـح تعبـير حينما قال ﷺ في الحديث الصحيح : (مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيب الكثير أصاب أرضـاً ، فكـان منهـا نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله

ونفعه مابعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)[1] .

أخي المسلم :

هذه هي نواقض كلمة التوحيد ﴿ لا إله إلا الله ﴾ فعليك باليقظة لوساوس الشياطين من الإنس والجن ، والحرص على هذه النعمة العظيمة التي أنعم الله بها علينا نعمة التوحيد ، استمسك بها وعض عليها بالنواجذ حتى تلقى الله سبحانه وتعالى وأنت ممن قال فيهم جل وعلا : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾[2] .

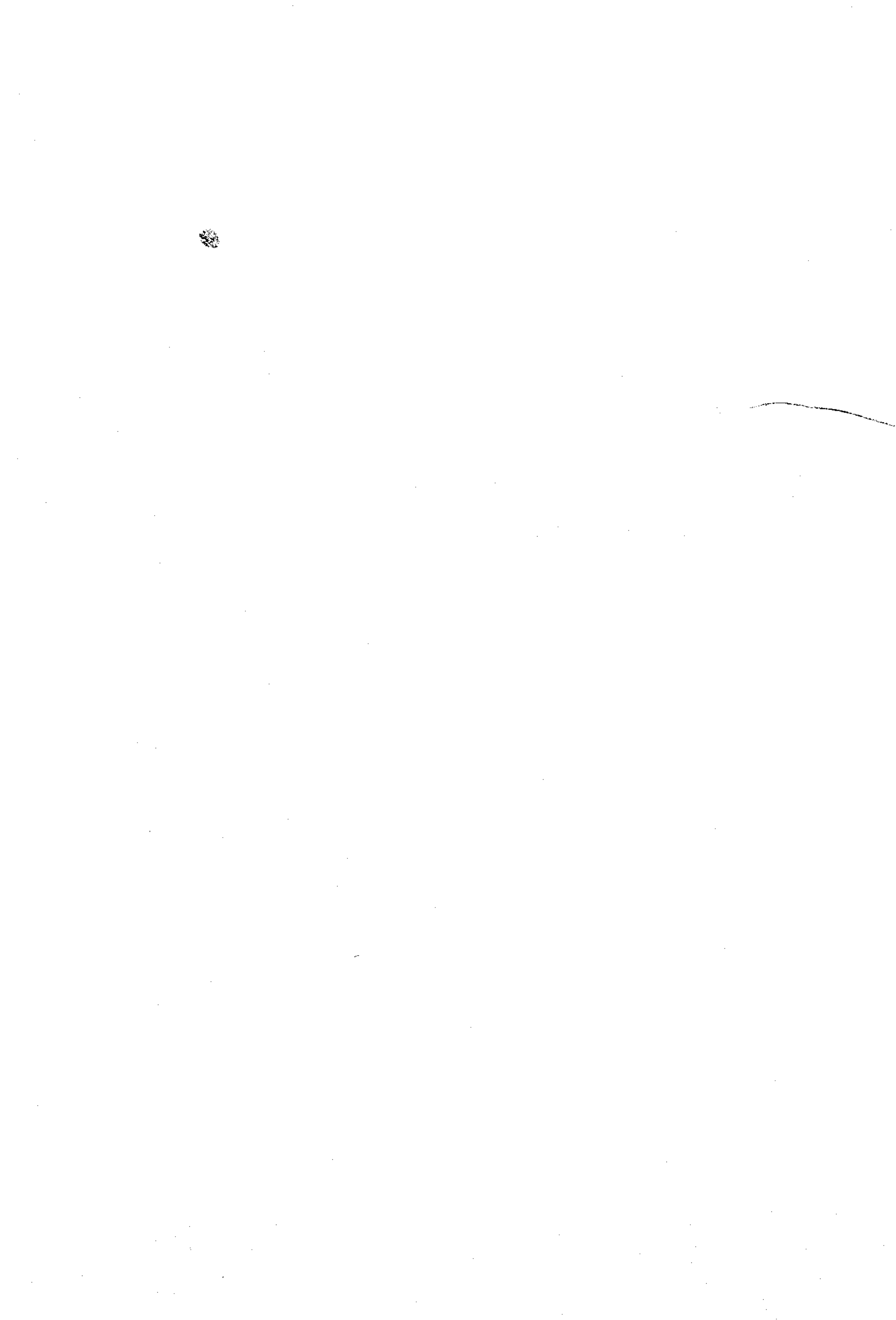
---

(١) صحيح البخاري : ١/ ٥١.

(٢) الأنعام الآية /٨٢.

القسم الثاني

محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم



المبحث الأول

معنى شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن معنى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ كما يأتي :

« طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ماعنه نهى وزجر ، وأن لايعبد الله إلّا بماشرع » .

أي أقر وأصدق التصديق الجازم من صميم قلبي المواطيء لقول لساني بأن محمداً عبد الله ورسوله إلى الناس كافة ، إنْسِهم وجنهم ، شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، ووجوب تصديقه ﷺ فيما أخبر به ، أخبار ماسبق وأخبار ماسيأتي .

إنَّ الشهادة للرسول محمد ﷺ بالرسالة والعبودية أو بالعبودية - والرسالة مقرونة بالشهادة لله سبحانه وتعالى بالتوحيد - لاتكفي إحداهما عن الأخرى ، فهما مقترنتان ومتلازمتان ، كما أراد الحق تبارك وتعالى وأمر .

ولابد من إيمان العبد واعترافه بكمال عبودية النبي ﷺ لله سبحانه وتعالى ربه ورب الخلق جيمعاً أنسهم وجنهم من في السموات ومن في الأرض ومابينهما، والإعتراف أيضاً بكمال رسالته ﷺ وتمامها وصلاحها لكل زمان ومكان وأمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وكماله هو ﷺ وأنه ﷺ فاق جميع البشر في خصاله وصفاته الحميدة .

وعلى هذا فإن التصديق برسالة محمد ﷺ والاعتقاد بهذه الشهادة يتطلب من العبد إعلان ذلك وإظهاره بالقول والعمل .

ومعلوم أن إظهار ذلك بالقول يتم عن طريق النطق بها باللسان أما الإظهار بالعمل فيكون بالمتابعة السلوكية في جميع الأحوال وفقاً لما جاء به الصادق الأمين ﷺ ، بعيداً عن الإبتداع أو المغالاة التي حذر منها ﷺ أمته ، خشية أن تزل القدم عن الطريق المستقيم الذي بينه ﷺ لأمته في جميع شؤون حياتها سواء ماكان يتعلق به ﷺ أي محبته وطاعته أو مايتعلق بالأمور جميعها من عبادات ومعاملات .

ونحن نلحظ ماوقع فيه البعض من الناس من مغالاة ، الأمر الذي جعلهم يتنكبون الطريق ويقعون فيما حذرهم منه ﷺ .

إن المعنى الحقيقي لشهادة أن محمداً رسول ﷺ هو الإنقياد التام والطاعة المطلقة لسيد الأنام محمد بن عبد الله ﷺ ، والتمسك بما جاء ﷺ به من ربه سبحانه وتعالى ، والدفاع عن سنته وحماية جانب التوحيد الذي بينه الرسول الكريم ﷺ في سنته المطهرة ، قال تعالى : ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لايحب الكافرين ﴾[1] .

ويقول جل وعلا : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾[2] .

ان تعظيم أمر النبي ﷺ ونهيه ولزوم شرعه هو التعبير الصادق عن المعنى الحقيقي لهذه الشهادة « شهادة أن محمداً رسول الله » وهذا إنما هو امتثال لأمر الحق تبارك وتعالى الذي أرسله للناس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وبذلك تبرز المعاني الصحيحة الصادقة لهذه الشهادة المتمثلة في الاتباع لا الابتداع ، اتباعا هديه ﷺ ، ومعرفة ماجاء به ومـاأوضحه لأمته من أمور دينها ، ودنياها ، ومن طريقة المحبة الخالصة ، محبته ﷺ التي تدخل صاحبها الجنة إن شاء الله ، المحبة المنطلقة من إقرار العبد بأنه ﷺ عبد الله

(١) آل عمران الآية /٣٢.
(٢) التغابن الآية /١٢.

ورسـولـه، ورحمتـه إلى خلقـه، ختم الله برسالته الرسالات وبـدينه الأديان ورضي لعباده الإسلام ديناً ، الإسلام الذي أتى به رسول رب العالمين محمد بن عبد الله ﷺ وبلغه أحسن بلاغ للناس كافة .

المبحث الثاني
عظيم قدره صلى الله عليه وسلم

إن المكانة التي بلغها الصادق الأمين ﷺ هي فضل من الله ومنـة فله الأمر كله وإليه يُرجَعُ الأمر كله . فسبحانه وتعالى من حكيم خبير قادر قاهر إنَّ الناظر والمتأمل لما منحه الحق تبارك وتعالى عبده ورسوله محمد ﷺ من قدر ومكانة وعلو شأن يوقن أن ذلك لايقدر عليه إلا الكبير المتعال مُصَرِّف جميع الأحوال مالك الملك سبحانه وتعالى .

فسبحانه من إله عظيم ورب كريم يفعل مايشاء إنه على كل شيء قدير . . .

لقـد أكرم الله عبده ورسوله محمد ﷺ ومن عليه بخصال كثيرة ، وصفات عظيمة ، رفع بها قدره وأعلى شأنه بين جميع خلقه .

وسوف نقف على بعض من ذلك ، للاستدلال فقط ، لأن استقصاء ذلك لايمكن تحقيقه في هذه العجالة إلا أننا سنورد هذه النقاط :

١ ـ يدل على عظيم قدره ورفعة مكانه ﷺ عند ربه جل وعلا أَنْ ذُكِرَ في مقدمة من ذَكَرِ من الأنبياء في الوحي وأخذ العهد .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ أنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبرهيم واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ﴾[1] .

ويقول عز من قائل في موضع آخر من الكتاب العزيز : ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوحٍ وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴾[2] .

٢ ـ أنه ﷺ خاتم النبيين ، إذ ختم الله تعالى به الأنبياء والمرسلين الكرام عليهم السلام ، كما ختم بدينه الديانات السماوية ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ ماكان محمد أبا أحد من

---

(١) النساء الآية /١٦٣ .

(٢) الأحزاب الآية /٧ .

رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾[1] .

صلوات الله وسلامه عليه . .

وقال ﷺ : « مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بنيانـاً فأحسنـه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » متفق عليه[2] .

٣ ـ وهو ﷺ أول المسلمين قال تعالى : ﴿ قل أني أمرت أن أكون أول من أسلم ﴾[3] .

٤ ـ ومن عظيم قدره صلى الله عليه عنـد ربـه أنـه أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ النبي أولى بالمؤمنـين من أنفسهم وأزواجـه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾[4] .

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم » .

---

(١) الأحزاب الآية / ٤٠ .

(٢) صحيح البخاري في المناقب ومسلم في الفضائل .

(٣) الأنعام الآية / ١٤ .

(٤) الأحزاب الآية / ٦ .

٥ ـ ومن عظيم قدره صلى الله عليه وسلم عند ربه أنه نبي الإسلام ، ورحمة الله للعالمين ، أهدى به قلوباً عمياً وآذاناً صماً ، وعموم رسالته للناس كافة بل للإنس والجن ، وأنه سيد ولد آدم ، وخير الخَلْقِ وصاحبُ الخُلُقِ العظيم واللواء والكوثر ، والشافع المشفع يوم المحشر أنزل عليه أفضل كتبه سبحانه وتعالى ، فصلاة الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

المبحث الثالث
خصائص الرسالة المحمدية

إن الرسالة المحمدية الخاتمة تمتاز عن غيرها من الرسالات بخصائص كثيرة ومميزات جليلة وسوف نبرز هذه الخصائص ، وتلك المميزات بشكل مختصر ، مركز وذلك من خلال النقاط التالية :

أولاً : العموم والخلود :

إن رسالة سيدنا محمد ﷺ عامة خالدة باقية بحول الله وقوته وقدرته فقد جاءت للناس جميعاً ، فهي لهم كافة كما قال ربنا جل وعلا : ﴿ قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾[1]

(١) الأعراف الآية /١٥٨ .

فهي لم تكن لجنس دون جنس أو للون دون آخر ، أو لزمان دون زمان أو لطائفة دون أخرى ، إنها رسالة البشرية جمعاء ، رسالة للإنس والجن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

لقد كتب الحق تبارك وتعالى على نفسه حفظ كتابه العزيز وكلامه العظيم أساس هذا الدين وسِجلُّه ومصدرُه من أن تصل إليه يد عابثة بتحريف أو تبديل ولقد حاولوا كثيراً ـ ومازالوا ـ أخزاهم الله ورَدَّ كيدهم إلى نحورهم حاولوا ذلك إلا أن الله غالب على أمره حافظ لكتابه ، قال تعالى : ﴿ انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

إنها رسالة عامة ليست خاصة مختلفة عن غيرها ، قال صلوات الله عليه في حديث لجابر بن عبد الله : . . . « أعطيت خمساً لم يُعْطَهن أحدٌ قبلي ، بعثت إلى الأحمر والأسود ، وكان النبي إنما يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة . . . » . الحديث . .[1].

ثانياً : الصحة من بين سائر الرسالات الباقية :

لقد حافظت الرسالة المحمدية على صحتها من بين سائر الرسالات السماوية لقد حرفت التوارة وحرف الإنجيل .

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٣/٣٠٤.

كما أن سيرتـه ﷺ هي نقية ناصعة صحيحة من بين سير الرجال والعظماء . .

فالدين محفوظ في كتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد ، محفوظ في الصدور ، منقول بالتواتر من جيل إلى جيل كذلك قوله ﷺ وفعله وتقريره وسـيرته العطرة كل ذلك محفوظ في كتب السيرة والحديث ، قيض الله لها رجـالاً قضـوا حياتهم في جَمْع هذا الكنز وذلك الإرث العـظيم من سنـة سيد المـرسلين وإمام المتقين سيدنا محمـد ﷺ ، فكانوا أمناء بحق على هذه السنة المطهرة فكل جانب من جوانب حياته ﷺ محفوظ ومعروف بالطرق الثابتة المعـروفة عند رجال الحديث ، الأمر الذي يدعو كل مسلم للفخر والإعتزاز بهذا الإهتمام الكبير ، والمحافظة الفريدة على الكتاب والسنة من قبل هذه الأمة أمة سيدنا محمد ﷺ فرادى وجماعات .

ان ديناً اختاره رب العالمين للناس أجمعين لايستغرب عليه ذلك كله فسبحانه من إله عظيم ورب كريم . قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾[1] .

---

(١) سورة المائدة الآية /٣.

ثالثاً : الشمول والكمال :

إنَّ كل من يقف على الرسالة الخاتمة ويتدبرها وينظر إليها جملة أو تفصيلاً يجدها تشمل جميع نواحي الحياة ، إذ أنها لم تترك أيَّ جانب من جوانب الحياة البشرية إلا وَوَضَعت له مايناسبه ويجعله ميسراً للناس وفي متناول الجميع ، سواء فيما يتعلق بالاعتقاد أو العبادات والمعاملات ، لقد بين الكتاب العزيز ذلك على سبيل الإجمال والتفصيل ، وقامت السنة المطهرة بإيضاح ماأجمل لبيان ماعرض وتفسيره وتوضيحه كما يُحبُّ ربنا ويرضى كل ذلك دليل على صفة الكمال ، الكمال الذي أراده الحق تبارك وتعالى لدينه القويم وصدق ربنا الجليل الكريم إذ يقول : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم . . ﴾ لك الحمد ياربنا على نعمة الإسلام ومبعث خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ، إنَّ الإسلام لم يترك أي جانب من جوانب الحياة الإنسانية إلا وقدم له حلاً وأوجد له علاجاً ونظمه أدق تنظيم سواء مايتعلق بعلاقة العبد مع ربه أو علاقته مع الناس الآخرين على اختلاف طبقاتهم ونسبة قربهم أو بعدهم منه ، ولقد نظم العلاقات الأسرية ، مع الوالدين ، مع الأزواج ، مع الأولاد مع الجيران ، مع ذوي الأرحام ، حتى الكفار الذين يعيشون مع المسلمين نظم العلاقة معهم وهم أهل

الـذمة ، لم يترك أيَّ شيء إلا وجعل له تشريعاً حكيماً يسيره وينظمه بحيث يكون سهلاً ميسراً للجميع ، فسبحانه من إله حكيم ورب رحيم ورسول الإسلام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه هو القدوة والمثل المحتذى ، حيث كانت صفات الكمال كلها في شخصه الكريم ﷺ ، فشخصيته تعطي القدوة الطيبة في جميع شؤون الحياة ، وسيرته كنز في هذا المجال ، لقد اجتمعت في شخصه عليه الصلاة والسلام صفات الكمال التي كانت في إخوانه الأنبياء عليهم السلام .

فإذا كان نوح عليه السلام قد اتصف بالحلم والصبر في الدعوة .

وإذا كان الخليل ابراهيم عليه السلام صاحب كرم ومجاهدة في الله .

وإذا كان داود من أصحاب الشكر على النعمة .

وإذا كان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام من أصحاب الزهد في الدنيا والاستعلاء عن شهواتها وملذاتها ومغرياتها .

وإذا كان موسى عليه السلام صاحب شجاعة وبأس .

وإذا كان أخوه هارون عليه السلام ذا رفق ولين .

فإن امام المتقين ﷺ قد اجتمعت فيه تلك الصفات

وأكثر . . .

لأن الشجعان يجدون فيه ﷺ القدوة في الثبات اذا حمى الوطيس واشتدت الحرب ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

الكرماء يجدون في شخصه ﷺ الكرم بعينه فهو ﷺ يعطي بلا حساب ويؤكد كثيراً على الإنفاق والكرم بلا إسراف أو تبذير .

وقل ماشئت في جميع الصفات التي عرفتها البشرية صفات الكمال والخير والصلاح ، ولا غرابة في ذلك فهو إمام المتقين ، وخاتم النبيين والشافع المشفع يوم المحشر صلوات الله وسلامه عليه .

والحمد لله رب العالمين الذي أنعم وتفضل فله الحمد والشكر والمنة .

رابعاً : ختمها للرسالات والنبوات جميعاً :

لقد ختم الحق تبارك وتعالى رسالاته بهذه الرسالة الخاتمة رسالة سيدنا محمد ﷺ ، وليعلم الناس جميعاً هذه الحقيقة ويدركوها تمام الإدراك حتى تكون دعوى من الدعى النبوة أو الرسالة أو الوحي مكشوفة للناس جميعاً اذ لا دين إلا دين الإسلام ، ولا نبي بعد سيد الأنام ﷺ .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ماكان محمد أبا أحد من

رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾[1] .

ويقول ﷺ : (فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)[2] .

فلا مجال للدعوات أيا كان مصدرها ، لأنها كذب وافتراء على الله وعلى رسوله فالدين كامل والرسالة خاتمة ، والأصوات الناعقة من حين لآخر والمدعية بالنبوة أو الوحي أو نحو ذلك كلها أصوات ضالة مضللة . سيطر عليها الهوى والشيطان فأصبحت تأتمر بأمره وتسير بتوجيهاته ووساوسه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾[3] .

---

(١) الأحزاب الآية / ٤٠ .

(٢) صحيح البخاري كتاب المناقب.

(٣) المائدة الآية /٣.

المبحث الرابع
واجبنا نحوه صلى الله عليه وسلم

لاخفاء على من مارس شيئاً من العلم أو خص بأدنى لمحة من فهم بتعظيم الله تبارك وتعالى قدر نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وتخصيصه إياه بفضائل ومحاسن ومناقب لاتنضبط لزمام ، وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الألسنة والأقلام ، فمنها ماصرح به تعالى في كتابه ، ونبه به على جليل نصابه ، وأثنى عليه من أخلاقه وآدابه ، وخص العباد على إلتزامه ، فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى ، ثم طهر وزكى ، ثم مدح بذلك وأثنى ، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى ، فله الفضل بدأ وعوداً والحمد أُولى وأُخرى .

وإنَّ واجبنا نحوه ﷺ لاتفيه هذه السطور العَجِلة ، لأن الكتابة في هذا المقام تحتاج إلى مجلدات ومجلدات ، فنحن إن شاء الله أمة هذا النبي الكريم ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ وأتباعه أعرف الناس به صلوات الله وسلامه عليه . . .

لقـد بَلَّغ نبينـا الكريم الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق الجهاد فصلاة الله وسلامه على إمام المتقين وسيد العالمين وخاتم النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وسيكون الحديث في هذا المبحث من خلال النقاط التالية :

١ ـ تصديقه ﷺ .

٢ ـ اتباعه ﷺ .

٣ ـ فرض محبته ﷺ .

٤ ـ عبادة الله بما شرع ﷺ .

٥ ـ البعد عن إيذائه ﷺ .

٦ ـ الصلاة والسلام عليه ﷺ .

١ ـ تصديقه ﷺ :

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ وماينطق عن الهوى ﴾ صلوات الله وسلامه عليه والمتأمل فيما جاء به إمام المتقـين ﷺ يجد أن مثـل هذا لايصدر إلا من أعظم الخلق وأصدقهم وأَبَرِّهم .

لقـد عرف قبـل مبعثه ﷺ بالصدق وكانت قريش تدعوه بالصـادق نقـول هذا لأولئـك الحـاقـدين الحـاسدين الذين يروجـون الأبـاطيل ويقذفون بالتهم والأكاذيب حول صدق بعض ماجاء به الصادق المصدوق ﷺ أما نحن فنحمد الله

سبحانه وتعالى على نعمة الإسلام التي أنعم بها علينا ، فله الحمد وله الشكر ، آمنا به نبياً ورسولاً ، وصدقنا بكل ماجاءنا به عليه الصلاة والسلام جملة وتفصيلاً . .

إن الإنسان إذا علم أن محمداً رسول الله بالعقل والنقل والبراهين اليقينية ثم وجد في عقله ماينازعه في خبره ، كان عقله يوجب عليه أن يسلم موارد النزاع إلى من هو أعلم به منه ، وأن لايقدم رأيه على قوله ، ويعلم أن عقله قاصر بالنسبة إليه ، وأنه أعلم بالله وأسمائه وصفاته ، واليوم الآخر منه وأن التفاوت الذي بينهما في العلم بذلك أعظم من التفاوت الذي بين العامة وأهل العلم بالطب . فإذا كان عقله يوجب عليه أن ينقاد لطبيب كافر فيما أخبره به من أمور تتعلق بالأغذية والأشربة والمسهلات والمضادات الحيوية واستعمال تلك المضادات على وجه مخصوص مع مافي ذلك من الكلفة والألم ، لظنه أنه أعلم منه وأنه إذا صدقه فإن ذلك أقرب لحصول الشفاء مع علمه أن الطبيب يخطيء ، وأن كثيراً من الناس لايشفى بما يصفه الطبيب ، بل يكون أحياناً استعماله لما يصفه له سبباً في هلاكه ومع هذا يقبل قوله ويقلده ، وإن كان ظنه واجتهاده يخالف وصفه فكيف حال الخلق مع الرسل عليهم الصلاة والسلام .

والرسل صادقون مصدقون .

لايجوز أن يكون خبرهم على خلاف ماأخبروا به ، ومن عارضهم ففيه من الجهل والضلال مالا يمكن وصفه .

فكيف يجوز أن يعارض من لم يخطيء قط ، بمن لم يصب في معارضته قط .

إن عدم علمنا بالحقائق لاينفي ثبوتها في نفسها .

فما أخبر به الصادق الأمين ﷺ ثابت وحق سواء علمنا الحكمة في ذلك أو لم نعلم ، لأن مصدره رب الخلق جميعاً سبحانه وتعالى السميع العليم ، المحيط بكل شيء سبحانه وتعالى .

لذا فإن تصديقه ﷺ في كل ماأخبر عنه ، إنما هو إقرار عملي وترجمة حقيقية لشهادة أنَّ محمداً رسول الله ﷺ ، وإلا كيف يكون مقراً بالشهادة وهو مكذب لصاحبها أو لبعض ماجاء به ﷺ ؟ إنَّ هذا التصديق يجب أن يكون ظاهراً وباطناً ، بحيث لايختلف الظاهر عن الباطن ، وإلا كان صاحب ذلك الإعتقاد من المنافقين ، الذين يظهرون خلاف ما يبطنون ، وأن يكون ذلك التصديق في كل آن وحين .

لا تؤثر عليه الأحداث والتقلبات والدعايات والإشاعات المضللة ومايروجه أعداء الإسلام من أفكار وأباطيل تنال من هذا الدين أو من شخص رسول الله ﷺ ، وتبرز بعض

ماجاء به ﷺ على أنه لايناسب العصر الذي نعيشه، أو أنه خاص بزمنه وزمن صحابته ، وأن إنسان هذا العصر حصل له من التقدم والتطور الشيء الكثير ، الأمر الذي يجعله غير قادر على التكيف مع ماأخبر عنه الصادق الأمين ﷺ ، قاتلهم الله وأخزاهم ورد كيدهم إلى نحورهم .

ان قبول جميع ماجاء به ﷺ ومابينه الناس من أمور تتعلق بالدنيا والدين والعمل به والدعوة إليه ، هو التصديق العملي لما جاء به ﷺ أما مخالفته ماجاء به ﷺ أوردُّه ومحاربته ، فإنه تكذيب غير تصديق ، مهما حاول البعض ادعاء غير ذلك ، أو قالوا ونادوا بأنهم من المتبعين المصدقين .

جعلني الله وإياكم من المصدقين به ﷺ قولاً وعملاً واعتقاداً .

٢ ـ اتباعه ﷺ :

إن الاتباع الصادق والحقيقي لرسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم هو لزوم ماجاء به ، والتمسك بسنته ، والـدفاع عنها ، وأن لايعبد الله سبحانه وتعالى إلا بما شرع لعباده عن طريق نبيه محمد ﷺ .

فإذا انقاد العبد لأوامر الرسول ﷺ ، وكل ماجاء به فإنه يكون من المحققين لشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ، أما إذا كان من المبتـدعـين في الـدين الـذين لايسيرون وفق الهدى

المحمدي ، فإنه لن يكون من المتبعين ولو أدعى ذلك كثيراً .

وأعلم أخي المسلم أن الخير كله في اتباع أمام المتقين ﷺ ، لأنه هو المبلغ عن ربه ، أمر العباد أن يطيعوه ، ماترك شيئاً يقربنا من ربنا الكريم ويكفل لنا سعادة الدارين ، إلا وبينه لنا وحثنا عليه صلوات الله وسلامه عليه ، ولم يترك أمراً من الأمور التي تبعد العبد من خالقه إلا ووضحها وحذرنا منها ، لهذا لابد من الإتباع ولايكون متبعاً من عمل عملاً ليس عليه هدى الصادق الأمين ﷺ .

ولا يكون متبعاً من أحدث في هذا الدين .

ولا يكون متبعاً من شهد شهادة أن محمداً رسول الله بلسانه فقط ، ولم يتبع ذلك عملاً .

ولا يكون متبعاً من سار خلف فلان وفلان وترك هدى محمد ﷺ .

ولا يكون متبعاً من غير وبدل أو حرف السنة المطهرة الأصل الثاني من التشريع الإسلام .

ولا يكون متبعاً من رأى أن هدى محمد ﷺ لايفي مقتضيات العصر .

ولا يكون متبعاً من لم يحب كل ماجاء به الصادق الأمين ﷺ حباً صادقاً .

يقول الحق سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين وإله العالمين

في كتابه العزيز ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾[1] .

ان الإيمان الحقيقي والاتبـاع الصـادق الصحيح لسيد المرسلين ﷺ هو الذي يقوم ويرتكز على العلم بما جاء به عليه الصلاة والسلام ، والعمل به والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه ، أي الاقتداء الكامل به ﷺ .

وصدق ربنا الكريم اذ يقول : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾[2] .

فاتبـاعه ﷺ أمر لازم وحتمي ، لايتم إيمان العبد إلا به قال سبحانه وتعالى : ﴿ قل ياأيها الناس أني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾[3] .

وماذا بعد هذا أيها الناس ، ماذا نريد بعد هذا الأمر الإلهي الكـريم من الخالق المدبر العالم بما ينفع خلقه ومايقربهم منه سبحانه ، ـ إلهنا ـ إلهنا وسيدنا آمنا برسولك ـ صدقنا بما جاء

---

(١) آل عمران الآية / ٣١.
(٢) سورة الأحزاب الآية / ٢١.
(٣)

به ، فلا تزغ قلوبنا وثبتنا حتى نلقاك وأنت راض عنا ياخير مسؤول . .

٣ - فرض محبته ﷺ علينا :

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين ﴾[١] .

ان فرض محبته صلوات الله وسلامه عليه على من آمن به وصدق ، أمر بديهي إذ كيف يكون مؤمناً به وهو لايحبه ؟ وكيف يكون مؤمناً به من لايتمسك بهديه ﷺ .

ولنتدبر هذا الموقف العظيم في هذه المحادثة بين إمام المتقين ﷺ وصاحبه الجليل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه .

قال الفاروق : لأنت يارسول الله أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي . قال الصادق الأمين : (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك) .

---

(١) التوبة الآية / ٢٤ .

قال الفاروق : فانك الآن والله أحب من نفسي .
قال الصادق الأمين : (الآن ياعمر) .
هكذا كان الأصحاب الأخيار ، أبو بكر وعمر ، عثمان ، وعلي ، وبلال ، وآل ياسر ، وصهيب ، وابن أم عبد ، وحمزة ، والعباس ، هكذا كانوا جميعاً رضوان الله عليهم في محبتهم لإمامهم وسيدهم ﷺ .
وهاهو الصحابي الجليل عمرو بن العاص يقول : ماكان أحد أحب إلى من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه ، وماكنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ﷺ .
وفي الحديث الصحيح عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال النبي ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)[1] .
يقول ابن حجر في الفتح عند الكلام عن هذا الحديث الشريف : كل من آمن بالنبي ﷺ إيماناً صحيحاً لايخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة ، غير أنهم متفاوتون ، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى ، ومنهم من أخذ

(١) صحيح الإمام البخاري : ١٧/١ . كتاب الإيمان ـ عالم الكتب.

منها بالحظ الأدنى ، كمن كان مستغرقاً بالشهوات محجوباً في الغفلات في أكثر الأوقات[1] .

ومعلوم أن للمحبة ثلاثة أقسام :

١ ـ محبة إجلال وأعظام كمحبة الوالد .

٢ ـ محبة رحمة وإشفاق كمحبة الولد .

٣ ـ محبة مشاكلة واستحسان كمحبة الناس بعضهم بعضاً .

إن المتأمل في معاني الحديث النبوي السابق يجد أنه تضمن كل معاني الحب وليس هذا مستغرب فقد أوتى ﷺ جوامع الكلم .

ان المحب الحقيقي لرسـول الله ﷺ هو من ترسم خطاه وتمسك بهديه ، ودافع عن دينه ، وعمل على تبليغه للناس ، كافة واقتفى أثر الصحابة الكرام رضوان الله عليهم في ذلك ، أولئك الأخيار الذين حملوا الأمانة من بعده ﷺ ، ودافعوا عن هذه العقيدة بكل مايملكون ، وقاموا بتبليغها الناس جميعاً ، وجاهدوا في سبيلها بالنفس والمال ، وكانت نتائج ذلك الجهاد

(١) فتح الباري : ١/٦٦، كتاب الإيمان.

بارزة إذ رفـرفت راية التـوحيد في مشـارق الأرض ومغـاربها وبلغت دولـة الإسلام إلى أقصى الشرق ، سواء ماكان من فتوحات في عهد الخلافة الراشدة أو مابعدها ، كما هو معروف في كتب الفتوحات الإسلامية .

لقد كانوا رضوان الله عليهم صادقين في حبهم لله ولرسوله وللإسلام فكان أن أقاموا دولة قوية يرهبها كل عدو وحاقد وحاسد .

لم يكن لديهم عدة هائلة ، أو عتاد كثير وقويٌ ، كان لديهم الإيمان الصادق والحب الكبير الذي جعلهم يقدمون نفوسهم في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض وإبلاغ دينه للخلق ، فهل نحن متعظون ؟ . .

إننا في هذا الزمن الذي تكالبت فيه قوى الشر والإلحاد على أمـة محمـد ﷺ في أمسَّ الحـاجـة إلى حب صحيح ومحب صادق ، حب صحيح يدفـع صاحبـه إلى التمسـك بهدي الصادق الأمين ﷺ ، والإقتداء به ، وترسم منهجه في القول والعمل ، ومحب صادق يدافع عن هذا الدين بكل مايملك ، يدافع عنه بمحاربة الخلافات والبدع ، ومادخل في الدين مما هو ليس منه بفعل كيد أعدائه وجهل أبنائه الذين تنكبوا الطريق وتمسكو بشعارات جوفاء لاتسمن ولا تغنى من جوع ،

شعـارات أطلقها أعداء الإسلام ، وقاموا بترويجها بين أبناء هذه الأمة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

نعم إننا في حاجة ماسه إلى محب حقيقي لهذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم يدافع عن رسالته ويدعو إليها بكل وسائل الدعوة المسموعة منها والمقروءة والمرئية محب قدوة في سلوكه ومعاملاته ، وإبلاغ هذا الدين ، كما بين عليه الصلاة والسلام وكما كان في دعوته حتى لقى ربه الكريم سبحانه وتعالى ، دعوته التي اعتمدت على الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، دعوته المنطلقة من قوله تعالى : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾[1] .

أننا حينما نقول فرض محبته ﷺ علينا ، انما نقول ذلك لأنه لايتم ايمان العبد إلا بتحقيق المحبة لهذا النبي الكريم ﷺ ، كما قال عليه الصلاة والسلام : ﴿ لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين ﴾[2] .

ومعلوم لدى الناس أن للمحبة في النفوس أسباب تجلبها ، والحبيب محمد ﷺ توفرت فيه جميع تلك الأسباب ، لقد حاز

---

(١) فصلت الآية /٣٤ . .

(٢) البخاري : ١/١٧ ، كتاب الإيمان .

جميع الخصال الحميدة والصفات الكريمة ، أدبه ربه فأحسن تأديبه ، ثم أن الحق تبارك وتعالى اصطفاه واختاره لخاتمة الرسالات صلوات الله وسلامه عليه ، وفرض على العباد طاعته ومحبته ، والإقتداء به ، فهو رحمة الله للعالمين وإمام المتقين ﷺ ، ثم إن غيوم الجهالات وسحب الضلالات التي كانت مخيمة على الدنيا بأسرها لم تكن لتزول إلا برسالة إمام المتقين ﷺ ، هذه الرسالة التي حطمت الأصنام ، وبددت الظلام ، وقضت على الكفر وأهله ، وأخرجت الناس من الظلمات إلى النور ، ومن جور الطغاة وتسلط القوي على الضعيف ، وعبادة العباد ، إلى عبادة رب العباد سبحانه وتعالى .

فانطلق الإنسان في هذا الكون في ظل عدالته الإلهية وتعاليمه السماوية إلى مجالات أرحب في جميع شؤونه ، حيث تفتحت مغاليق الأفكار وانطلق العقل البشري في إبداعاته ، فعلا البناء ، وظهرت الابتكارات النافعة ، واستفاد من خيرات الأرض ، التي أودعها الحق سبحانه وتعالى في باطنها ، وانتفع هذا الإنسان بكل شيء في ظل الإسلام ، الذي أعطى للعلم والتعلم النصيب الأكبر من الإهتمام والدعم ، فالحمد لله أولى وأخرى ، هذا العقل الذي كان مكبلاً بقيود الجهالات والضلالات والسيطرة البشرية من قبل أولئك الذين استطاعوا

التحكم بالبشر عن طريق دعاوى باطلة وأفكار فاسدة ، قامت الكنيسة على ترويجها ونشرها بين الناس في عصور الظلام والاستعباد ، قبل مطلع النور ، ومبعث سيد العالمين محمد ﷺ .

ولا بأس من سرد هذه المواقف في خاتمه الحديث عن هذا الجانب من جوانب البحث .

أولاً : سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كيف كان حبكم لرسول ﷺ ؟ قال : كان والله أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا من الماء البارد على الظمأ .

ثانياً : لما احتضر الصحابي الجليل بلال بن رباح رضي الله عنه ، نادت امرأته : واحزناه فقال رضي الله عنه : واطرباه ، غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه .

ثالثاً : امرأة من المسلمات الصحابيات الأنصاريات رضي الله عنها ، قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله ﷺ ، فقالت : مافعل رسول الله ﷺ : قالوا : خيراً ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ، فلما رأته قالت : كل مصيبة بعدك جلل .

رابعاً : وأخيراً موقف الصاحب في الغار ابن أبي قحافة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أجمل وأروع وأصدق وأخلص حب ، لأنقى وأتقى وأشرف وأعظم حبيب ﷺ والموقف

معـروف في كتب السـيرة ، وهـو اعتداء جهابذة الكفر على الصدِّيق ، رضى الله تعالى عنه في حرم الله ، حيث تكالبت عليه قوى الشر واجتمعت عليه أيدي البــطش ، فســالت الـدماء منه ، وسقط مثقلاً بآلامه وجراحه ، فحمل إلى بيته رضي الله عنـه والدماء تسيل من كل جانب ، كل هذا وهو لايبـالي بما حدث به ، ولم تشغله الجراح العميقة عن حبيبه الكـريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، يسأل بحرارة وشوق عنه ، وهل حدث له مكروه ؟ رضي الله عنك وأرضاك ياخليفــة رســول الله ، وعضــده ، وجـزاك عن الإسـلام والمسلمين خير الجزاء .

هذه صور مشرقة للذكرى فقط .

اللهم إنا نسأل باسمك العظيم ووجهك الكريم أن ترزقنا حب نبيك ، وحب من أحبه وحب ما آتانا به على الوجه الذي يرضيك عنا برحمتك ياأرحم الراحمين . .

وفي النهاية لابد أن ننوه هنا عن جانب هام وخطير جداً .

وهو الانتباه التام إلى مالرب العالمين من حقوق ومالعبده ورسوله محمد ﷺ وعدم الخلط بين حقوق الحق تبارك وتعالى وحقوق الرسول العبد ﷺ ، حتى لانقع فيما حذرنا منه عبد الله ورسوله سيدنا محمد ﷺ من غلو وتجاوز الحد ، وأن تكون المحبة موافقة للكتاب والسنة وماكان عليه الصحابة الأخيار

رضوان الله عليهم جميعاً .

ان حب الحبيب سيدنا محمد ﷺ عبادة أمرنا بها الحق تبارك وتعالى والعبادة يشترط فيها الاتباع لا الابتداع .

ومقامه صلوات الله وسلامه عليه وحقه علينا كبير . وهذا أمر الحق تبارك وتعالى الذي أرسله ﷺ رحمة للعالمين ، وصدق ربنا الجليل العظيم اذ يقول : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[1] .

أما حق الخالق تبارك وتعالى فأعظم وأكبر وأشمل وأعم جل جلاله وتقدست أسماؤه . .

٤ ـ عبادة الله بما شرع ﷺ :

لقد أوضحنا عند الحديث عن شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ، أنه :

لايعبد الله سبحانه وتعالى إلا بما شرع رسول الله ﷺ ، وذلك لأن ذلك الشرع هو شرع الله سبحانه وتعالى ورسول الله ﷺ لاينطق عن الهوى ، آتاه الله سبحانه وتعالى القرآن ومثله معه ، قال تعالى : ﴿ وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾[2] .

---

(١) التوبة الآية /١٢٨ .

(٢) النجم الآية / ٢ ـ ٣ .

لقد بلغ عليه الصلاة والسلام وأدى الأمانة ونصح الأمة وجـاهـد في الله حق الجهاد ، وقال عليه الصلاة والسلام : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[1] .

يقول ابن حجر في الفتح : « هذا الحديث مما ينبغي أن يعتني بحفظه واستعماله في إبطال المنكرات » .

وفي المـوطـأ عن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنه نبيه ﷺ)[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله تعـالى عنـه قال : قال رسـول الله ﷺ : (ماأمرتكم به فخذوه ومانهيتكم عنه فانتهوا)[3] .

وفي حديث آخـر قال ﷺ : (يوشـك الرجل متكئاً على أريكته يحدِّث بحديث من حديثي فيقول : بيننا كتاب الله عز وجل ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه) ألا وإن ماحرم رسول الله ﷺ مثل ماحرم الله)[4] .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإمارة.
(٢) الموطأ ص ٢٤٦ ، دار الفكر.
(٣) سنن ابن ماجه ص ٢ .
(٤) سنن ابن ماجة : ص ٦ .

وفوق ذلك كله كلام رب العزة والجلال في محكم التنزيل الذي أوضح أن طاعة نبيه ﷺ من طاعته جل شأنه ، فقال عز من قائل عليما : (من يطع الرسول فقد أطاع الله)[1] .

إن إمام المتقين عليه الصلاة والسلام هو الموضح والمبين والمفسر لما أتى به الكتاب الكريم من أوامر ونواهي وأمور تتعلق بجانب العبادات أو جانب المعاملات ، كل ذلك وضحه المبلغ ﷺ في سنته القولية أو العملية أو التقريرية[2] .

لذا وجب على أمته أن تعبد الله بما شرع لها الصادق الأمين ﷺ لانقول مثل أولئك الذين أخبر عنهم عليه الصلاة والسلام : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل ، ويتركون الهدى النبوي الذي أمروا بتصديقه واتباعه وطاعته ، وهو عليه الصلاة والسلام حريص كل الحرص على أمته لأن الله سبحانه وتعالى بعثه رحمة للعالمين .

وصدق ربنا العلي العظيم إذ يقول : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[3] .

---

(١) النساء الآية / ٨٠ .

(٢) وتعني بالقولية قوله والعملية عمله والتقريرية تقريره ﷺ .

(٣) التوبة الآية /١٢٨ .

٥ ـ البعد عن إيذائه ﷺ :

ان من أوجب الحقوق التي له عليه الصلاة والسلام على أمته ، الابتعاد التام عن كل مامن شأنه المساس بشخصه الكريم أو بما يأتي به من رب العالمين ، أيْ أيِّ نوع من أنواع الأذى قل أو كثر ، بطريق مباشر ، أو غير مباشر ، وذلك لأن أيَّ نوع من أنواع الأذى لرسول الله ﷺ يعتبر من المحرمات ، يؤدي بالانسان إلى الخروج من الدين يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لايستحي من الحق واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيما ﴾[1] .

ويقول جل وعلا في سورة التوبة : ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن

---

(١) الأحزاب الآية /٥٣ .

للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾[1] .

ونؤكد هنا بأن الأذى المقصود هو ماتشمله هذه الكلمة من معنى سواء وجه هذا الأذى لشخصه الكريم ﷺ أو لما جاء به من رب العالمين أو لبعض ماجاء به ، أو لسنته أو لبعض سننه ، أو لأهل بيته أو لزوجاته أمهات المؤمنين ، أو لصحابته الأخيار ، وفي مقدمتهم خلفاؤه الراشدون أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم وجزاهم عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء والثواب ، أو أي شيء يحبه ﷺ .

وأن نوالي من والاه ونعادي من عاداه وآذاه عليه الصلاة وأزكى السلام .

وكيف يكون مؤمناً ومن أهل التوحيد من يقدم على إيذاء إمام المتقين ورسول رب العالمين ورحمة الله للناس كافة ﷺ ، أو يحاول بطريق مباشر أو غير مباشر ذلك ، وأولئك الذين تعرضوا لسيدنا محمد ﷺ أو لدينه القويم أو لأهل بيته ، وزوجاته وصحابته بالنقد والتجريح والأذى والافتراءات

---

(١) التوبة الآية /٦١.

بألوانها وأشكالها ، القديم منها والجديد كلهم أَعَدَّ لهم الحق تبارك وتعالى العذاب الأليم ، كما بينا قبل قليل في سورة التوبة .

ان مقام رسول الله ﷺ عند ربه عظيم ، ويجب على المسلمين أن يعرفوا ذلك تمام المعرفة ويحرصوا على ذلك كل الحرص حتى لايقعوا في شيء من المحذور كما يجب عليهم الدفاع عن رسول الله ﷺ ودينه وأهل بيته وزوجاته وصحابته جميعاً رضى الله عنهم وأرضاهم ، وهذا من أوجب الواجبات على أمة محمد ﷺ ، خاصة وأن أعداء الإسلام لايقفون لحظة عن توجيه الأذى إلى هذا الدين ، الأمر الذي يوجب على أمة الإسلام الاستعداد التام والدائم للدفاع عن الإسلام ورسول الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام .

٦ - الصلاة والسلام عليه ﷺ :

يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾[١] .

وعن أبي طلحة الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال :

---

(١) الأحزاب الآية /٥٦ .

(أصبح رسول الله ﷺ يوماً طيب النفس يرى في وجهه البشر ، قالوا : يارسول الله أصبحت اليوم طيب النفس يرى في وجهك البشر قال : أجل أتاني آت من ربي عز وجل فقال : من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ورد عليه مثلها)[1] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات)[2] .

لقد أمرنا الحق تبارك وتعالى في محكم التنزيل بالصلاة والسلام على عبده ورسوله سيدنا محمد ﷺ وكتب الجزاء الأوفى لمن صلى وسلم عليه ، كما أوضحنا في الأحاديث السابقة .

أيُّ شرف وعلو مكان هذا الذي امتن الله سبحانه وتعالى به على عبده ورسوله سيدنا محمد ﷺ ، ياله من تشريف وتكريم وتعظيم هذا الذي أمر به الحق سبحانه وتعالى عباده المؤمنين .

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٤/ ٢٩ .

لقد أفرد الكثير من المؤمنين للصلاة والسلام على النبي محمد ﷺ المؤلفات ويمكن الرجوع اليها للاستفادة منها .

وسوف نذكر المواطن التي يصلى فيها على النبي ﷺ للتذكير فقط إذ أن المسلم يعرف ذلك جيداً ، وهذه المواطن هي :

١ ـ الصلاة الفرض منها والنافلة .

٢ ـ صلاة الجنازة .

٣ ـ عند ذكره ﷺ .

٤ ـ بعد سماع الأذان (النداء للصلاة) .

٥ ـ عند الدخول للمسجد والخروج منه .

٦ ـ في خطبة الجمعة وغيرها من الخطب كالعيدين والاستسقاء .

٧ ـ في صلاة الكسوف والخسوف .

٨ ـ عند البدء في الدعاء والخاتمة .

٩ ـ عند كتابه اسمه ﷺ .

١٠ ـ في بعض الأوقات كيوم الجمعة .

هذه المواطن التي ورد فيها آثار من السنة المطهرة .

أما من حيث الوقت فالصلاة والسلام عليه ﷺ في كل وقت وخير الأوقات ماكان في صلاة أو عقبها .

وعلى المسلم أن يكثر من الصلاة والسلام على إمام المتقين ورحمة الله للعالمين سيدنا ونبينا محمد ﷺ .

والصلاة والسلام على النبي ﷺ لها صيغ كثيرة ونختار منها الصلاة الإبراهيمة وهي كما ورد في حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد » متفق عليه .

والسلام معروف لدى المسلمين جميعاً ولفظه : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » .

احرص أخي المسلم على هذا الفضل العظيم ، والأجر الكبير وأكثر من الصلاة والسلام على أشرف النبيين وإمام المتقين وقائد الغز المحجلين ﷺ .

المبحث الخامس
طاعته صلى الله عليه وسلم

الطاعة هي الانقياد والموافقة .

والأمر بطاعة الرسول ﷺ ورد في كتاب الله العزيز صراحة في أكثر من عشر مواضع ، وذلك في كل من سورة آل عمران والنساء والمائدة والأنفال والنور ومحمد والمجادلة والتغابن .

قال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾[1] .

وقال جل من قائل عليما : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا ﴾[2] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾[3] .

---

(١) آل عمران الآية /١٣٢ .

(٢) الأنفال /٤٦ .

(٣) التغابن الآية /١٢ .

أما في السنة المطهرة ، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنـه قال : (من أطـاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصا الله ، ومن يطع أميري فقد أطاعني ، ومن يعص أميري فقد عصاني)[1] .

والطاعة ـ رحمني الله وإياكم ـ ليست شعاراً يرفع أو كلاماً يقال .

إنها المتابعة والموافقة والإنقياد لأمره ﷺ .

إنها التمسك بهديه ﷺ في جميع شؤون الحياة .

إنها الإستسلام التام المطلق لما أتى به الهادي البشير ﷺ من ربه .

إنها الاتباع لا الابتداع .

إنها الحرص التام على سنته وهديه ﷺ ، وحمايتها والدفاع عنها ، وإبلاغها للناس كافة .

إنها الإمتثال لما أمر به ﷺ .

إنها الإجتناب عن كل مانهانا عنه ﷺ .

ولاشك أن طاعة رسول الله ﷺ من الواجبات التي أوجبها

---

(١) صحيح الإمام مسلم . كتاب الإمارة .

الحق تبارك وتعالى على عباده ، وأنزل فيها قرانا يتلى إلى يوم القيامة .

وفقنا الله لطاعته وطاعة رسوله ﷺ . . .



المبحث السادس

نتائج مخالفته صلى الله عليه وسلم

ذكرنا عند الحديث عن وجوب طاعته ﷺ أن ذلك أمر من الله سبحانه وتعالى والواجب على العباد أن يمتثلوا أمر ربهم سبحانه وتعالى .

ومعلوم أن ضد الطاعة المخالفة ، والمخالفة بأي شكل من أشكالها ، الظاهر والمختفي منها ، القليل والكثير ، يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾[1] .

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة : « أيْ عن أمر الرسول ﷺ سبيله ومنهاجه وطريقته وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قبل ، وماخالفه فهو مردود على قائله ، وفاعله ، كائناً ماكان »[2] .

---

(١) النور الآية /٦٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/٦٧.

ويقول جل وعلا في موضع آخر من كتابه العزيز : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾[1] .

وهاهو الصديق أبو بكر رضي الله عنه يقول : (لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به ، إني أخشى إنْ تركت شيئاً من أمره أن أزيغ) .

الله أكبر ، هذا قول أول من آمن ، وأول خليفة للمسلمين ، رضي الله عنه إنَّ مخالفة أمره ﷺ ضلال وفساد كبير ، توعد الحق تبارك وتعالى صاحبها بالخذلان والعذاب الأليم .

أما رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكي التسليم فقد بين لنا حال من غير وبدل وخالف فقال ﷺ في الحديث الذي رواه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه ، من أن النبي ﷺ أتى المقبرة فقال : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إنْ شاء الله بكم لاحقون وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا : أولسنا إخوانك يارسول الله ؟ قال : أنتم أصحابي ، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله ؟ ، فقال : أرأيت لولا أن رجلاً له خيل غُرٌّ

---

(١) النساء الآية /١١٥ .

محجلة بين ظهري خيل دهم بهم[1] ، ألا يعرف خيله ؟ ، قالوا : بلى يارسول الله ، قال : فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء ، وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال ، أناديهم : ألا هلم فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول : سحقاً[2] سحقا)[3] .

وعن ثابت عن أنس : (أن نفرا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر ، فقال بعضهم لا أتزوج النساء . وقال بعضهم لا آكل اللحم ، وقال بعضهم : لا أنام على فراش .

فحمد الله ، وأثنى عليه ، فقال : مابال أقوام قالوا كذا وكذا ، لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[4] .

نعم من رغب عن سنة إمام المتقين فإنه بعيد عنه وليس منه ولا من أتباعه ، سواء أكان ذلك بالترك ، أو بالغلو ، أو بأي عمل يخالف هديه ﷺ كالبدع والخرافات .

---

(١) دهم بهم : أي سود لم يخالط لونها لون آخر.

(٢) سحقا : بعدا.

(٣) صحيح مسلم ص ٢١٨ .

(٤) صحيح الإمام مسلم ص ١٠٢٠ ، دار احياء التراث.

إن نتائج مخالفة رسول الله ﷺ وخيمة جداً توقع العبد في غضب الله تعـالى وعقـابه ، لأنه جل وعلا الذي أمر العباد بطاعة رسوله ﷺ ، فليحذر المسلم من ذلك أشد الحذر . . .

المبحث السابع
كلمة لابد منها

ماذا عساني أن أقول في هذه الكلمة السريعة أو أبين ماإجتمع في شخص إمام المتقين ﷺ من خصال الخير ومحامد الصفات ؟

وهل ان قلت بعضاً من ذلك أكون قد وفيت .

لقد اختاره الحق تبارك وتعالى لحمل رسالته الخاتمة ، وبعثه للناس كافة بل للإنس والجن .

أنزل عليه القرآن الكريم ، المعجزة الكبرى ، وخصه عن غيره من رسله وأنبيائه بخصائص تحدث عن بعضها فيما سبق .

أن ترجمة حياته ﷺ في ذاتها معجزة ، ولنبدأ على بركة الله في كلمتنا عن خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ بالنقاط التالية :

أولاً : كان بشرا ﷺ ، أمره الحق تباك وتعالى بإبراز هذه الحقيقة وإعلانها للناس جميعاً كي لايتخذوه إلهاً من دون الله

سبحانه وتعالى ، أو يضيفوا له من صفات الألوهية أي صفة فقال سبحانه وتعالى : ﴿ قل إنما أن بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد ﴾ .

نعم انه ﷺ من البشر ، إلا إنه لايوجد في البشر من هو مثله في عظمته ﷺ ، لذا لم يخلق تبارك وتعالى من أبناء آدم جميعاً إلا رجلاً واحداً هو محمد بن عبد الله ﷺ توافرت فيه مزايا الكمال .

يقول الشيخ علي الطنطاوي غفر الله له : « وان من الظلم لمحمد ﷺ ، وأن من الظلم للحقيقة أن نقيسه بواحد من هؤلاء الآلاف من العظماء الذين لمعت أسماؤهم في دياجي التاريخ ، من يوم وجد التاريخ ، فإن من العظماء من كان عظيم الفعل ولكنه فقير في العاطفة ، وفي البيان ، ومن كان بليغ القول وثابت الخيال ، ولكنه عادى الفكر ومن برع في الادارة أو القيادة ، ولكن سيرته وأخلاقه كانت أخلاق السوقة الفجار .

ومحمد ﷺ هو وحده الذي جمع العظمة من أطرافها ومامن أحد من هؤلاء ، إلا كانت له نواح يحرص على سترها وكتمان أمرها ويخشى أن يطلع الناس على خبرها ، نواح تتصل بشهوته ، أو ترتبط بأسرته ، أو تدل على ضعفه وشذوذه .

ومحمـد ﷺ هو وحده الذي كشف حياته للناس جميعاً ، فكـانت كتاباً مفتوحاً ، ليس فيه صفحة مطبقة ، ولا سطر مطموس ، يقرأ فيه من شاء ماشاء . وهو ﷺ وحده الذي أذن لأصحابه أن يذيعوا عنه كل مايكون منه ، ويبلغوه ، فرووا كل مارأوا من أحواله ﷺ ، في ساعات الصفاء ، وفي ساعات الضعف البشري »[1] . .

من من العـظماء قال للناس هاكم سيرتي كلها ، وأفعالي جميعهـا . اطلعـوا عليهـا ؟ إن البشرية جميعها لاتعرف غير محمـد ﷺ ودونت سيرته وظهرت بهذا التفصيل والبيان، فهي هي منـذ أن دونت حتى الآن . بعـد ألف وأربعـمائـة سنة ونيف ، لم تتغير ، ولم تتبدل ، يقرؤها الجميع ويتصفحها من كان على ملته ومن حرم نفسه منها .

لقـد كانت ومازالت هذه العظمة المحمدية تمتاز بشمولها وصفـاء وجههـا فصلاة الله وسلامه عليك ياسيدي يارسول الله . . .

ثانيـاً : كان ﷺ مؤمنـاً بما يدعو إليه ، يقول الحق تبارك وتعـالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه . . . ﴾ هذا الإيمان كان ومـايزال فريداً لايرتـقـي إليه أي عظيم من

(١) على الطنطاوي، تعرف عام بدين الإسلام ص ٢٠٣، مؤسسة الرسالة، ط١١ ـ ١٤٠١ هـ.

العظماء ، لأنهم يقولون مالا يفعلون .

أما إمام المتقين ﷺ فقد كان يبلغ الوحي المنزل عليه من رب العـزة والجـلال في المسجـد والبيت والـطريق ، ويأمـر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطبق ذلك هو أولاً صلوات الله وسلامه عليه .

لقـد كانت حياتـه كلها نور يهتدى به كل من أراد الخير والفلاح والفوز بجنة عرضها السماوات والأرض . .

ثالثاً : العدل :

كان ﷺ أعدل الناس ، ففي الجاهلية كانت حادثة الحجر ، عندما قالت قريش الكافرة : « هذا محمد الأمين قد رضينا به » .

وكانت الناس في الجاهلية تتحاكم إليه ﷺ .

وهـا هو عليه الصـلاة والسـلام يعلنهـا مدوية في أسماع الدنيا : (والله لو فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) ، أو كما قال ﷺ ، والفتـاة المخـزومية التي ثبت عليها مانسب إليها ، وهي ماهي من الرفعة والمكانة ، انها من بني مخزوم ، لم ينفعهـا سعي الكثـيرين لايقـاف تنفيذ الحكم عليهـا ، والحديث مع رسول الله ﷺ في شأنها .

إنهم عادوا أدراجهم ، لانه ماكان منه ﷺ ، إلا أن غضب غضباً شديداً ، وأعلمهم أن هذا من أسباب الهلاك ، وهو

ماوقعت فيه الأمم السابقة قبلنا ، كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق الوضيع أقاموا عليه الحد .

وعلموا عندها أن الحدود لاتسمع فيها شفاعة ولا ينظر فيها إلى مكانة الجاني الإجتماعية ، الله أكبر إنها عدالة رب العالمين ، الذي يعلم السر وأخفى وهاهو الصادق المصدوق ﷺ يقول : (فمن يعدل إنْ لم يعدل الله ورسوله)[1] .

رابعاً : لقد كانت جميع الخصال الحميدة مجتمعة في شخصة الكريم ﷺ وماذا عساني أن أقول ؟ وهل أقدر أن أوفيه حقه ؟ لا ورب البيت. فرب العزة والجلال قال عنه في محكم التنزيل : ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾[2].

فماذا أقول وبماذا أبدأ ؟ . . .

هل بمعاني الجود والكرم والسخاء والسماحة ، أم بالشجاعة والنجدة أم بحيائه وإغضائه، أم بحسن معاشرته ، وأدبه ، أم بشفقته ورأفته ورحمته ﷺ لجميع الخلق ، أو بوفائه وحسن عهده وصلة رحمه ، أم بتواضعه وأمانته وعفته ، أم بوقاره وحسن عهده وصمته وزهده في الدنيا وخوفه من ربه ، وطاعته له ، وشدة عبادته له .

---

(١) صحيح الإمام مسلم : ٢/ ٧٣٩، دار إحياء التراث.

(٢) القلم الآية / ٤.

انظر أخي المسلم في سيرته ﷺ فماذا ترى ؟

في كل ناحية منها عزة وعظمة ، في قوة جسده ، وتكوينه ، في روحه وأنه لايستخفه النصر حتى يبطره ، ولا تزلزله الهزيمة حتى تثير غضبه ، أو تذهب بعزمه ، في ثباته في المعامع الحمر ، حتى كان أبطال الصحابة رضوان الله عليهم يحتمون به ، في شجاعته التي تضعضع أمامها صناديد الرجال .

في تواضعه للمسكين والفقير ، ووقوفه للأرملة وللعجوز .

في اقراره بالحق، في صدق التبليغ عن الله، حتى أنه بلغ الآية التي نزلت في عتابه ، في احترامه العهود وحفاظه على كلمته مهما كلفه الحفاظ عليها من مشقة ونصب .

في ذوقه ﷺ وحسه المرهف ، وأنه هو الذي سن آداب الطعام وقرر قواعد النظافة ، في وضعه مع أصحابه اذ يعلمهم ويعمل معهم ويعيش مثلما يعيشون ، ويستشيرهم ، ويسمع منهم ، ويجلس حيث يجد المكان الفارغ ، لم يكن يمتاز عليهم في جلوسه ، ولا في ثيابه ، كان مثلهم في كل شيء ﷺ ، في سلوكه المهذب العفيف مع النساء .

وفي سيرته في بيته ومع أهله ومزحه الصادق ، وانطلاق نفسه وأنه كان محبباً إلى كل قلب . .

ماذا عساني أن أقول في هذه الشخصية العظيمة في الرحمة المهداة سيدنا ونبينا محمد ﷺ . .

الخــاتمة

لقـد تحدثنـا في هذه الرسالة عن كلمة التوحيد ، ﴿ لا إله إلا الله ﴾ هذه الكلمة العزيزة على قلب كل مؤمن بالله سبحانه وتعالى ، والتي يدخل بها الإنسان تحت راية التوحيد الوارفة ، يحقق بها مامن أجله خلق . .

وبينا بشكل مبسط وسهل وفي نفس الوقت سريع معنى هذه الكلمـة المبـاركـة ثم انتقلنـا إلى تفسيرها موضحين الجانب المهم في ذلك وهو الجانب التطبيقي والذي عنوناه بكلمة تحقيق ﴿ لا إله إلا الله ﴾ مبرزين بعد ذلك أركان ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وشروطها موضحين آثـارهـا على من حققهـا قولاً وعملاً مبينين بعد ذلك أقسام التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة ، مركزين على توحيد الألوهية والأسماء والصفات ، مبرزين رأي السلف الصالح في أسماء الله وصفاته ، وأخيراً أوضحنا الأمور التي تنقص كلمة التوحيد ليقف عليها كل مسلم ليحذر منها كي لايقع فيها .

انتقلنا بعد ذلك إلى إيضاح وتفسير الشطر الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام الخمس وأعني « شهادة أن محمداً رسول الله » ﷺ وكان البحث فيها في سبعة مباحث ، بدأت بتفسير وإيضاح معناها ، ثم بينا عظيم قدره ﷺ وخصائص الرسالة المحمدية ، وواجبنا نحوه ﷺ من وجوب طاعته ومحبته وتفضيله على النفس والمال والولد ، ثم أوضحنا بعد ذلك نتائج مخالفته ﷺ .

إن كلمة التوحيد ﴿ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ وبعد أن وقفنا على إيضاحها وتفسيرها لا بد لنا أن نؤكد هنا على أن العلم بلا عمل لايفيد ، ونعنى بالعمل الذي يرضى الله سبحانه وتعالى ، الموافق لما جاء في كتاب الله العزيز وهدى نبيه الكريم ﷺ ، العمل الخالص من كل شائبة ، المعتمد على الحقائق الثابتة والقواعد الأساسية في الدين ، بعيداً عن الغلو والتعصب ، والغلو الذي حذرنا منه الصادق الأمين ﷺ . .

ثم الدعوة إلى هذه الكلمة المباركة كلمة الإخلاص ، الدعوة المعتمدة على الحكمة والعلم

الشرعي ، وطريق السلف الصالح ، والصبر على كل مايلحق الداعية من أذى ، لأن دعاة الباطل وأعوانه في كل زمان ومكان لايريدون لراية الإسلام أن ترتفع ، وفي مقـدمـة أولئك اليهود عليهم لعنة الله أعداء الله ورسوله وقتلة الأنبياء .

لابـد للمسلم أن يحقق كلمة التوحيد ، كما يحب ربنا ويرضى ، ويخلص العبادة لله وحده لاشريك له ، ولا رب سواه جل جلاله .

يخلص العبـادة لله وحـده بحيث يكـون متبعـاً لامبتدعاً ، أو مقلداً بلا علم أو دليل .

أن كلمة التوحيد وحدة واحدة ، لاتقبل التجزئة ، أبداً ، وذلك لأن الحق تبارك وتعالى هو الذي أمر عباده بالإيمان به وبرسوله محمد ﷺ فلا يقبل إيمان أي عبد من عباده إنْ لم يؤمن برسالة محمد ﷺ وما جاء فيها من عند الله سبحانه وتعالى من أوامر ونواهي وتشريع حكيم .

إن هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم هو المبلغ عن ربه سبحانه وتعالى ، رفع قدره وأنزل عليه أفضل كتبه ، الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فلابد للمسلم أن يعرف مالله ومالرسوله ، فلا يجعل ماكان لله لأي أحد من خلقه ، سواء كان ذلك ملك مقرب أو نبي مرسل . .

وماكان لرسوله محمد ﷺ يجب أن يحذر المسلم من المغالاة فيه ، لأنه حذرنا عليه الصلاة والسلام من الغلو وأخبرنا أنه أهلك من كان قبلنا . .

أخي المسلم : هذه كلمة التوحيد ﴿ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ مفسرة موضحة ، قف عندها ، تبصر بها ، إن كنت قد وفقت إلى تحقيقها كما يجب ربنا ويرضى ، فاحمد الله وكن من الشاكرين ، واثبت على ذلك وأسأل الله التأييد والثبات ، وإن كنت غير ذلك فعد إلى الحق في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فالحق أحق أن يتبع . .

جعلنا الله هداة مهتدين ، وحشرنا تحت لواء سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وأصحابه أجمعين .

كتبه : الشريف حمدان راجح

المدينة المنورة ـ المحرم ١٤٠٩ هـ

الفهـــــرس

* الإهـــــداء ٧
* المقدمة ٩
* تمهيد ١١
* **القســم الأول** « لا إله إلا الله » ١٧
* المبحث الأول: « معنى لا إله إلا الله ومفهومها » ١٩
* المبحث الثاني: « تفسير شهادة أن لا إله إلا الله » ٢٧
* المبحث الثالث: « تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله » ٣١
* المبحث الرابع: « أركان وشروط لا إله إلا الله » ٣٥
* المبحث الخامس: « آثار لا إله إلا الله على المسلم » ٤١
* المبحث السادس: « أقسام التوحيد » ٤٥
* المبحث السابع: « نواقض لا إله إلا الله » ٥٣
* **القســم الثاني** « محمد رسول الله » ٦٥
* المبحث الأول: « معنى شهادة أن محمداً رسول الله » ٦٧
* المبحث الثاني: « عظيم قدره ﷺ » ٧١
* المبحث الثالث: « خصائص الرسالة المحمدية » ٧٥
* المبحث الرابع: « واجبنا نحوه ﷺ » ٨٣
* المبحث الخامس: « طاعته ﷺ » ١٠٧
* المبحث السادس: « نتائج مخالفته ﷺ » ١١١
* المبحث السابع: « كلمة لابد منها » ١١٥
* **الخاتمــــة** ١٢١

كتب للمــؤلف

* موسوعة الدعوة الإسلامية .
* لا إله إلا الله محمد رسول الله .
* الأسلوب النبوي في الدعوة .
* عدة الداعية المسلم ـ تحت الطبع .
* أصول الدعوة الإسلامية ـ تحت الطبع .